كتاب

﴿ الكوكب الوهاج ٭ لتوضيح المنهاج ﴾

للهمام العلامة صاحب التآليف الغزيرة ورافع منار الطريقة التجانية
الشيخ سيدي احمد ابن الحاج العياشي المعروف بسكيرج
الخزرجي الانصاري وفقه الله واعطاه ما يتمناه آمين
في شرح « درة التاج ٭ وعجالة المحتاج » في فقه
الطريقة التجانية ذات الاسرار الربانية
والمواهب العرفانية تصنيف العلامة
الرئيس السيد الحاج عبد
الكريم بنيس لطف الله
به آمين

والتمام النفع جعلنا المشروح قبل الشرح مجردا ليسهل حفظه والله الموفق

حقوق الطبع محفوظة للطالب عبد الكريم سكيرج
ولد المؤلف حفظه الله

طبع بمطبعة النهضة نهج الجزيرة عدد ١١ بتونس

كتاب

« الكوكب الوهاج * لتوضيح المنهاج »

للهمام العلامة صاحب التآليف الغزيرة ورافع منار الطريقة التجانية
الشيخ سيدي احمد ابن الحاج العياشي المعروف بسكيرج
الخزرجي الانصاري وفقه الله واعطاه ما يتمناه آمين
في شرح « درة التاج * وعجالة المحتاج » في فقه
الطريقة التجانية ذات الاسرار الربانية
والمواهب العرفانية تصنيف العلامة
الرئيس السيد الحاج عبد
الكريم بنيس لطف الله
به آمين

ولتمام النفع جعلنا المشروح قبل الشرح مجردا ليسهل حفظه والله الموفق

حقوق الطبع محفوظة للطالب عبد الكريم سكيرج
ولد المؤلف حفظه الله

طبع بمطبعة النهضة نهج الجزيرة عدد ١١ بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

حمد الله الذي اغرق عقول اوليائه في بحور التوحيد والعلوم. فاستمسكوا بحبل الشريعة الى طريق الحقيقة خير ما استار به الجنان. وترجم عنه فصيح اللسان. فازاح عنهم بها الغموم والهموم. وادخلهم بساتين حضرته فاستنشقوا روائح الاقبال. فجلسوا على كراسي خدمته وادارو كؤوس ذكره فنالوا بذلك غاية الوصال. واردف عليهم المواهب والفتوحات. حتى بلغوا في مقام الرسوخ اعلى مقامات. وامدهم في الدارين بما تنتعش به الارواح. وتتطهر بها من كدرات النفوس وسرمح (١) الهوى الاشباح. وجعل نورهم مقتبسا من مدد كوثر الحقائق. الذي لولاه ما برز من عما الفناء جميع الخلائق.

محمد سيد الكونين والثقلين * ن والفريقين من عرب ومن عجم

عليه ارفع صلاة واسمى سلام يفوقان سدرة المنتهى. ويتميزان عند الله تعلى تميز بدر التمام عن السهى. وعلى آله واصحابه الاخيار. ما تكور الليل على النهار. ورضي الله تعلى عن شيخنا وملاذنا الكوكب النوراني. والفرد الصمداني. سيدنا ومولانا احمد التجاني. وسقانا من كوثره العرفاني. وبعد فيقول افقر العبيد الى مولاه. الغريق في بحور خطاياه. الراجي مغفرة الباري. احمد ابن الحاج العياشي المعروف بسكيرج الخزرجي الانصاري. غفر الله له ولوالديه. وجعلهم من المقربين لديه. وجميع المسلمين آمين ان افضل ما فيه بضائع النفوس تنفق. واولى ما به عال القلوب تمحى وتمحق. سلوك سبيل سلكه اولوا الاصطفاء. وحل

(١) قوله وسرمح. اي الشيطان لعنه الله

تمسك بهم السادة الاولياء . اذ بذلك يكون العاقل لشتات المعارف جامعا وبنزول الرحمات عليه روضا يانعا وملجئا مانعا فيلحق بالسابقين، ويحوز مقامات السالكين كيف لا وهم خلفاء الرسل الكرام. القائمون في الامة بالوظائف الشرعية بوارد الالهام.

فهم امناء الله في خلقه وهم ✲ نجوم اهتدا من حل في سلكهم نجا

وان الذي اعطاه الله المقام المختوم . ومفاتيح كنز الدر المكتوم . وخصه بوراثة خاتم الانبياء . واحله فوق منصة العز فكان خاتم الاولياء . شيخنا الرباني الجامع شتات المكارم . مولانا احمد التجاني بن محمد بن المختار بن احمد بن سالم . وكان ورده مما رتبه له سيد الانام . (١) وضمن لآخذه البلوغ في المعالي الى ارفع مقام.

بفضل الاله منحنا بذا ✲ على رغم انف الذي قد حسد

وكان ممن عاينته في هذه الطريقة عين العناية . حتى بلغ في السلوك الى اقصى غاية . فتجرد من ثياب البدع . وتأزر بمأزر الاتباع مع الورع . وغسل بماء الحياة فؤاده . ولبس التقوى وجعلها زاده ومراده . وركب على جواد الادب في مضمار الاذواق . فجاز فيه من جميع الفنون قصب السبق والسباق . حامل لواء الشعراء . وقدوة المحدثين والفقهاء . اخونا في الله بل استاذنا الدر النفيس . السيد الحاج عبد الكريم بن السيد الحاج العربي بنيس . حفظه الله من جميع الاهوال وتوجه بتاج العز والاقبال . فكان ممن اليه في مهمات الامور الرجوع . لما احتوى عليه فيها من جمع الاصول والفروع . فابان من بحر علومه فيها درة جامعه . تبهر الناظرين وتسر الطالبين ولجميع الاخوان في فقه هذه الطريقة نافعه . قد حشدت مما تفرق في كتب هذه الطريق . ما عليه المعول فيها بين ذوي التحقيق . تشفي الغليل . وتبرىء العليل .

---

(١) ولقد ابدع في الاشارة لهذا المعنى ابو الفلاح الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي حيث قال « وما ظنونك بالورد الذي نظمت ✲ يد النبوءة هل يبنى بلا ساس » كتبه معاوية التميمي

لله روضة علم انبتت حكما * وطيبت بشذاها البيت والحرما
نزه جفونك فيها واقتطف ثمرا * من دوحها واتنشق زهرا بها ابتسما
قد جمعت موجبات للمدح اذ جمعت * ما كان من درر في غيرها انقسما

ولعمري لهي من الفتوحات الربانية . والمنح الالاهية العرفانية . جزاه الله على ما اسداه خيرا . واجزل له مثوبة واجرا . ولما رأيت بلاغتها تميس من خمر المعاني . وفصاحتها تهتز لسلس المباني . شغف حبها قلبي . وخامر روحي ولبي .

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فحضني على شرحها من الاخوان من تجب مساعفته . وتتعذر من كل الوجوه مخالفته . فلبيت دعواه . واغتنمت دعاه . فراودتها عن نفسها . بعد ان تصديت لخطبتها من بين ابناء جنسها . فرقت بقلبها علي . واشارت بطرفها الي .

فايقنت ان الطرف قد قال مرحبا * واهلا وسهلا بالحبيب المتيم

واعرت عن محياها النقاب . وابدت ما كان من وراء الحجاب . فاذا هي عذراء في خدرها لم يتقدم لها بعل كغيرها متعذر التسور على استارها واقتطاف يانع ازهارها . فصرفت الهمة الى من بيده القوة والحول . ووجهت اليه الوجهة في الحفظ من كل هول . ففتح سبحانه وتعلى بشرح يحل رموزها . ويفتح لكل فقير كنوزها . واني وان كنت لست لذلك اهلا . ولا ممن هو احق بالخوض في تلك المسالك واولى . لكني اردت بذلك التطفل على موائد السادات عسى ان افوز معهم باعلا المقامات

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالكرام رباح

وما عسى ان يقع فيه من الخطأ فمن سبق اللسان او من التحريف عن الصواب من النسيان الذي هو طبع كل انسان

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسي

وأطلب بلسان التضرع ممن وقف عليه من القادات . ان يصلح ما فيه من

الخطأ والزلات . وان ينظره بعين الرضى والقبول . فان المعائب بعين الرضى تزول .

فعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وما علي فيمن لحظه ببصر الحسد . او رآه بعقل التحقير والحرد . فان النفوس الكريمة لا زالت تغضى عن الهفوات . والنفوس اللئيمة ما برحت تقفو العثرات وتحصي الزلات

عند العذول اعتراضات معنفة * وفي الخبايا جوابات واعذار

وسميته « الكوكب الوهاج * لتوضيح المنهاج » في شرح درة التاج . وعجالة المحتاج . ومن الله سبحانه اسأل الاعانة على الاكمال . والحفظ من زلل الاعمال وفلتات الاقوال . آمين . فاقول وبالله اصول لما كانت البسملة لكل علم هي اساس الفروع والاصول . ولما اشتملت عليه من الاسرار تعجز عن ادراك قرطعب (١) منها الفهوم والعقول . كانت مفتاح كل كتاب انزل من السماء . اشارة الى انه يطلب في الامور المهمة الابتداء باعظم الاسماء . فلذلك ابتدأ بها المصنف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ابتدأ بها لامور اقتداء بالكتب المنزلة . فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب انزل من السماء . وعملا بما روى عنه صلى الله عليه وسلم اول ما كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم فاذا كتبتم كتابا فاجعلوها في اوله . وخوفا من الوقوع فيما رواه الخطيب في جامعه وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبتدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع وعند ابن حبان بلفظ فهو اجذم قال الهيثي ليس في رواية فيها بسم الله بدون الرحمن الرحيم وهي مختومة بقوله فهو ابتر . وتبركا بما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديثه لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم الى المشرق وسكنت الرياح وماج البحر واصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين وحلف الله

قوله قرطعب اي الناقه .

بعزته وجلاله لا يذكرن اسمه على شيء الا بارك فيه. وفوزا بما ورد في فضلها فعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قالت الملائكة لبيك وسعديك اللهم ان عبدك فلانا قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم زحزحه عن النار وادخله الجنة . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يحيي سعيدا او يموت شهيدا فليقل عند ابتداء كل شيء بسم الله الى غير ذلك. نعم اعلم ان الكلام على البسملة لا تفي به عبارة ولا تستدعى لحصره اشارة لان جميع العلوم بها مرتبطة وكل المسائل منها عند ذوي المعرفة مستنبطة

فاهل علم النحو تكلموا عليها من حيث الاعراب والبناء وان باءها حرف جر وكسرت ومن حق الحروف المفردة الفتح قالوا لعلة نحوية وهي اختصاصها بالحرفية مع الجر لزوما وال في اسم الجلالة للتعريف . واسم الجلالة اعرف المعارف مضاف الى اسم. رئي سيبويه في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بقولي «اسم الجلالة اعرف المعارف» ذكره ابن جني في خصائصه والرحمن قيل نعت وقيل بدل وهو المختار وبه قال الاعلم وابن مالك وحققه صاحب المغني وبالاول قال الزمخشري وابن الحاجب والخلاف مبني على ان الرحمن صفة او علم والرحيم على الاول صفة ثانية لاسم الجلالة وعلى الثاني للرحمن لا لاسم الجلالة اذ لا يتقدم البدل على النعت وفيهما من اوجه الاعراب تسعة واحد جائز عربية وقراءة وستة عربية لا قراءة واثنان ممنوعان

ان ينصب الرحمن او يرتفعا * فالجر في الرحيم قطعا منعا

لان فيهما الاتباع بعد القطع وهو رجوع بعد الانصراف والعرب تأبى ذلك قال قائلهم :

اذا انصرفت نفسي (١) عن الشيء لم تكن * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

وقد جمعت هذه الوجوه التسعة مع التنبيه على الجائز منها والممنوع في قولي

---

(١) رواية ابن عبد ربه في العقد لم تكد اهـ مصححه

جر ونصب ثم رفع بهما * رفع ونصب بعد جر عنهما

وعكس ذين عندهم قد منعا * والرفع قبل النصب عكس سمعا

الى غير ذلك مما هو مبسوط في محله .

واهل الجمل تكلموا عليها من حيث متعلق الباء ومن جهة الاسمية والفعلية وعلى الجملة الاضافية على القول بها . وهل هي جملة كبرى او صغرى ذات وجه فما فوق . وهل لها محل من الاعراب او لامع ما انطوت عليه من جملة النعت المقطوع هل هي في محل نصب على الحال لكونها بعد المعرفة او لا محل لها اصلا لان ذلك استيناف تأمل وتفصيل ذلك معلوم .

واهل التصريف تكلموا على ان الاسم هو مشتق من السمو بضم السين وكسرها اي العلو وهو مذهب البصريين وايد بالجمع والتصغير اومن وسم يسم وسما من باب وعد وسمة اي علامة وهو مذهب الكوفيين والى ذلك اشار من قال :

واشتق الاسم من سما (١) البصري * واشتقه من وسم الكوفي

والمذهب المقدم الجلي * دليله الاسماء والسمي

قال الامام القرطبي وفائدة الخلاف ان من قال ان الاسم مشتق من السمو يقول لم يزل الله سبحانه موصوفا قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم ولا تأثير لهم في اسمائه ولا صفاته وهذا قول اهل السنة . ومن قال الاسم مشتق من السمة يقول كان الله في الازل بلا اسم ولا صفة فلما خلق الخلق جعلوا له اسماء وصفات فاذا افناهم بقى بلا اسم ولا صفة وهذا قول المعتزلة وهو خلاف ما اجمعت عليه الامة اه وتكلموا على ان اسم الجلالة هل هو غير مشتق وهو المختار واليه ذهب سيبويه والخليل واكثر الاصوليين والفقهاء ويدل عليه وجوه وحجج ذكر

(١) قوله من سما الخ فيه نظر لان اهل البصرة يشتقون من المصدر غيره لا من الفعل بخلاف الكوفيين اللهم الا ان يقال انه على حذف مضاف اي اشتق له اسم من مصدر سما البصري الخ وفيه ما فيه اه

بعضها الامام الفخر الرازي في تفسيره قال الشبرخيتي وقد ريء الخليل بن احمد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بقولي في اسم الجلالة انه غير مشتق ام او هو مشتق وهو قول بعضهم وهو غير سديد قال الامام العارف بالله ابن برجان في شرحه لاسماء الله الحسنى كثر الخلاف في اسم الجلالة الله هل هو مشتق او لا فنهم من قال ليس بمشتق وصدق ليست اسماء الله مشتقة من سواها انما سواها مشتقة منها . واما من قال ان هذا الاسم مشتق فذهب الى ان الاصل في هذا الاسم هو بين التوله اي الفزع وهو الوله . والوله مقول على معنيين يرجعان الى معنى واحد احدهما الفزع المتقدم ذكره وانشدوا فيه :

ولهت نفسي الطروب اليكم * ولها حال دون طعم الطعام

فلذا قال بعض العارفين اول المعرفة التغير ثم الاتصال ثم الافتقار وفي المعنى قال قائلهم :

قد تحيرت فيك خذلي بأيدي * يا دليلا لمن تحير فيك

وهذا المعنى الذي تقدم من معنى الوله هو من وله وقال قوم هو من لاه وهو مقول على معنيين بمعنى الاحتجاب واحتجوا بقوله :

لاهت فما عرفت يوما بخارجة * ياليتها خرجت حتى عرفناها

وبمعنى ظهر وعلا واحتجوا بقوله : « واعجلنا الالاهة ان تغيبا » ه

والرحمن على القول بانه صفة فهو مشتق كالرحيم والا فهو غير مشتق على المختار والرحيم صفة مشبهة كالرحمن على القول الاول بنيتا للمبالغة وفعله رحم بالكسر وهو متعد والصفة المشبهة انما تبنى من اللازم بتنزيل رحم المتعدي منزلة اللازم او بجعله لازما بنقله الى فعل بالضم وغير ذلك مما هو مذكور في محله

واهل الرسم تكلموا على الف اسم فقيل حذف لكثرة الاستعمال ولذا لم تحذف من اقرأ باسم ربك . وقال الخليل انما حذفت الالف في قوله بسم الله لانها انما دخلت بسبب ان الابتداء بالسين الساكنة غير متمكن فلما دخلت الباء على الاسم نابت على

الالف فسقطت في الخط وانما لم تسقط في قوله اقرأ باسم ربك لان الباء لا تنوب على الالف في هذا الموضع كما في بسم الله لانه يمكن حذف الباء من اقرأ باسم ربك مع بقاء المعنى صحيحا فانك لو قلت اقرأ اسم ربك صح المعنى اما لو حذفت الباء من بسم الله لم يصح المعنى فظهر الفرق اه وطولت الباء قيل عوضا عنها واعترض بان المعوض لا يقوى قوة المعوض عنه . وقال القتبي انما طولت الباء لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم اه واستحق الابتداء بالباء مع ان الالف افضل لانها اول ما نطقت به بنوا آدم في عالم الارواح يوم « الست بربكم قالوا بلى » وقيل قدمت الباء على غيرها اشارة الى انه لا يتقدم لحضرة الله تبارك وتعالى الا اهل الانكسار لقوله في الحديث القدسي « انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي » ولان من تواضع لله رفعه الله ولله در العارف بالله ابن الفارض حيث يشير الى هذا المعنى في تائيته :

ولو كنت لي من نقطة الباء خفضة ٭ رفعت الى ما لم تنله بحيلة

وعلى الف ال من اسم الجلالة فقيل قطعية وقيل وصلية وقيل ليست هناك الف على ما في ذلك عندهم وعلى ان الالف الذي بين اللام والهاء محذوفة خطا . وعلى الالف الذي قبل النون من الرحمن انه انما جاز حذفه في الخط على سبيل التخفيف ولو كتب بالالف حسن قاله الامام الفخر الرازي ولا يجوز حذف الياء من الرحيم لان حذفها يخل بالكلمة ويؤدي الى الالتباس بخلاف ما في الرحمن وعلى ان البسملة لا بد من كتابتها في كل السور ما عدا سورة براءة قال الامام الشاطبي :

ولا بد منها في ابتدائك سورة ٭ سواها وفي الاجزاء خير من تلا

وغير ذلك . واهل التجويد والقراءة تكلموا على استخراج الحروف من مخارجها مع تسمية كل بما هو موسوم به في اصطلاحهم . وعلى ان اسم الجلالة لا يمال اتفاقا الا قتيبة في بعض الروايات . وان حذف الالف الذي قبل هائه في اللفظ لحن قال ابو السعود وحذفه تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء محذوفا لضرورة الشعر في قوله :

الا لا بارك الله في سهيل * اذا ما الله بارك في الرجال

ومثله قول الراجز:

اقبل سيل جاء من عند الله * يجود جود الجنة المغلة

وعلى ان الف الرحمن لا يمال اجماعا . وفي امالته للنحويين قولان . احدهما انه يجوز ولعله قول سيبويه وعلة جوازه انكسار النون بعد الالف . وثانيهما انه يجوز وهو الاظهر عندهم . وعلى ان الوقف على بسم فقط قبيح وعلى بسم الله الرحمن كاف صحيح وعليها كلها تام الى غير ذلك

واهل تجويد الخط تكلموا عليها من حيث استقامة حروفها وظهور السنة سينها وفتح كل حرف مجوف فيها . وقد كان سيدنا عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه يقول لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله اه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ولم يعمر الميم والهاء كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة » وقال صلى الله عليه وسلم « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيما لله تعلى غفر له » وفي الشفاء دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاتب فقال يا كاتب « الق الدواة وحرف القلم وقوم الباء وفرق السين وافتح الميم وبين الجلالة وجود الرحمن الرحيم فان رجلا من بني اسرائيل كتبها وحسنها فغفر له » اه وعن ابن سكينة انه قال بلغني ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه نظر الى رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال له جودها فان رجلا جودها غفر له وعنه ايضا انه قال ان تجويد باسم الله الرحمن الرحيم يحسن الوجه اه (فائدة) ذكر بعض المفسرين في قوله تعلى « يزيد في الخلق ما يشاء » انه الخط الحسن اه ومن داوم على تجويد البسملة كسا الله خطه روقا وحسنا وان لم تتوفر اركان صناعته المجموعة في قول من قال :

ربع الكتابة في اسوداد مدادها * والربع منها صنعة الكتاب

والربع في قلم تساوى بريه * ثم الكو يغدو رابع الاسباب

وقيل لنساخ ما السرور فقال قلم مشاق. وحبر براق. وكاغد صقيل. ومكان خال من قال وقيل و قالت العرب الخط احد اللسانين وحسنه احدى الفصاحتين وورد الخط الحسن يزيد الحق وضوحا الى غير ذلك

واهل اللغة تكلموا عليها من حيث ان اسم الجلالة هل هو عربي وضعا اوهو معرب لاها بالسريانية فحذفوا الالف الاخيرة وادخلوا الالف واللام عليه . الصحيح الاول . ثم اختلفوا في اصله فقال البصريون اصله لاه فالحقوا به الالف واللام فقيل الله انشد عليه سيبويه قول الشاعر :

كحلفة من ابي رباح * يسمعها لاهه الكبار

وقال الكوفيون اصل لفظة الله الاه فادخلت الالف واللام عليه للتعظيم فصار الالاه فحذفت الهمزة استثقالا لكثرة جريانها على الالسنة فاجتمع لامان فادغمت الاولى في الثانية فقالوا الله . وهل الرحمن عربي كالرحيم وهو الصحيح او لا قال بعضهم مستدلا على انه غير عربي بقوله تعالى « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن » وقد طعن بعض المحققين في هذا بقوله هذا استدلال واه لان استفهامهم ليس راجعا الى اللفظ حتى يصح ما قال بل الى المدلول اه الى غير ذلك

واهل الوضع اختلفوا هل اسماؤه تعالى هو واضعها انفسه او خلقه هم وضعوها له . المذهب الحق ان الله تعالى هو واضعها كاسماء الملائكة وفاقا لابن الهمام كما ذكره الغنيمي في شرح الشعراوية . وقيل ان الحق جل وعلا كان في الازل بلا اسماء ولا صفات فلما خلق الخلق وضعوا له اسماء وصفات . وهذا مذهب اهل الاعتزال كما افاده القرطبي الى غير ذلك مما هو محرر في محله

واهل الاصول تكلموا هل هي آية من القرآن او لا ما عدا في سورة النمل وعلى كونها من القرآن هل هي من الفاتحة او لا وبسط الكلام في ذلك يطلب من محله .

واهل الفقه تكلموا على حكم الابتداء بها في العبادات وعلى ما يلزم في استعمالها في المنهيات وتفصيل ذلك معلوم

واهل الحديث تكلموا عليها من حيث الاحاديث الواردة فيها من جهة الرفع والوضع والتواتر والآحاد وغير ذلك .

واهل المنطق تكلموا عليها بحسب المتعلق هل هي قضية او غير قضية وعلى كونها قضية فباعتبار المتعلق والمحكوم عليه شخصية اومهملة كلية او جزئية وغير ذلك مما هو مبسوط في محله .

واهل التوحيد والكلام تكلموا على ان اسم الجلالة علم على الذات العلية الواجب الوجود الموصوف بالصفات المنزه عن الآفات الذي لا شريك له في المخلوقات وعلى الوصفين اللذين فيها هل هما راجعان الى صفة فعل او الى صفة ذات وذلك من حيث ان الرحمة في اللغة رقة القلب وانعطافه وهذا المعنى محال ففي حقه تعالى بمعنى الانعام اوارادته فهي صفة فعل على الاول وصفة ذات على الثاني . قال الامام الفخر الرازي اعلم ان القانون الصحيح في الالفاظ الدالة على صفات لا يمكن اثباتها في حق الله تعالى كالاستهزاء والمكر والغضب والتعجب والتكبر والحياء ونحو ذلك . ان نقول لكل واحد من هذه الاحوال امور توجد معها في البداية وآثار تصدر عنها في النهاية . مثاله ان الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة المزاج والاثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر الى المغضوب عليه فاذا سمعت الغضب في حق الله تعالى فاحمله على نهايات الاعراض لا على بدايات الاغراض وقس الباقي عليه اه وتكلموا على الاسم هل هو عين المسمى وهو قول الاشعري او غيره وهو راي المعتزلة واختاره البرهان الجعبري وغيره اولا ولا وهو مذهب اهل النقل ويعزى لامامنا مالك رضي الله عنه . وقال بعض المحققين انما يكون الاسم غير المسمى فيما سوى الله تعالى واما الحق سبحانه وتعالى فلا اه قال في التصريح والتحقيق ان الخلاف لفظي وذلك ان الاسم اذا اريد به اللفظ فغير المسمى وان اريد به ذات الشيء فهو عينه لكنه لم يشتهر بهذا المعنى قال الامام الرازي انا لم نجد شيئا مقتدا به في النزاع ان الاسم هل هو عين

المسمى او غيره والله اعلم اه فلذا قال بعض الصوفية ينبغي ترك الخوض في هذه المسألة لانها لا تجدي فائدة وبالله التوفيق .

واهل البيان تكلموا عليها من حيث الباء هل هي صلة او اصلية وعلى الاضافة الموجودة وعلى ان اطلاق الرحمة على الله تعالى مجاز . هذا راي من فسر الرحمة بالرقة والانعطاف . وقال السكوني في كتابه المسمى « بالتميز فيما وقع للزمخشري من الاعتزال في تفسير القرآن العزيز قوله ان وصفه تعالى بالرحمة مجاز اعتزال وضلال باجماع الامة لان الامة اجمعت على ان الله تعالى رحيم على الحقيقة وان من نفى عنه حقيقة الرحمة فهو كافر وانما قال الزمخشري ذلك لان الرحمة عند المعتزلة رقة وتغير لانهم ينكرون الارادة القديمة ويصرفون رحمة الله تعالى الى الافعال او الى ارادة حادثة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

واهل المعاني تكلموا عليها من حيث انشائيتها وخبريتها وتقديم متعلق الباء عليها وتأخره وتقديم العلم علي الوصفين وتقديم الاول على الوصف الثاني قيل لملاحظة العلية في الاول . وقال العلامة ابن قرقماس في كتابه « القبس المجتنى في شرح الاسماء الحسنى » روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الرحمن الرحيم اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر قال الحسن ابن الفضل البجلي في هذه الرواية تصحيف لان الرقة ليست من صفات الله تعالى وانما هي اسمان رفيقان احدهما ارفق من الآخر . وبيان ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطي على العنف . واختلف الذين قالوا رقيقان في الارق منهما فقال سعيد بن جبير هو الرحمن لان رحمته تعم المؤمن والكافر لقوله تعالى « ومن كفر فامتعه قليلا » والرحيم يختص برحمته المؤمنين . وقال وكيع بن الجراح الرحيم ارق الاسمين لان رحمته تعم اهل الدنيا والآخرة . وقال مقاتل بن سليمان الرحمن العطوف على عباده بفضله والرحيم الرفيق بهم بأن لم يكلفهم ما يعجزون عنه . وقال عكرمة الرحمان برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة .

وبما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة وانه انزل منها واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة . وقيل ان العرب عرفوا الله باسم الجلالة وعرفته اليهود بالرحمن وعرفته النصارى بالرحيم . فقد ذكر ما عرفته به العرب لان النبي صلى الله عليه وسلم منهم والقرآن بلسان عربي ثم قدم ما عرفته به اليهود على ما عرفته به النصارى لان اليهود اقدم منهم ولهذا ترتبت هذه الثلاثة اسماء في بسم الله الرحمن الرحيم وخاطب الله تعالى هؤلاء الثلاثة اصناف عبدة الاصنام والاوثان واليهود والنصارى لان عبدة الاصنام من عهد نوح عليه السلام كانوا قبل اليهود فبين الله لعبدة الاصنام انه هو الله الذي لا اله الا هو لابطال قولهم ان الاصنام آلهة ثم اليهود عرفوه بالرحمن لما انزل عليهم هذا الاسم في كتابهم وذلك قبل معرفة النصارى الرحيم ورتب هذه الاسماء في كتابه العزيز في البسملة ولم يجتمعوا لاحد من هؤلاء الطائفتين والله تعالى اعلم . وعلى ان الاول ان كان معرفا فهو مختصا بالله تعالى دون غيره من المخلوقين قاله التاج السبكي في قول بني حنيفة في مسيلمة الكذاب

سموت بالعز يابن الاكرمين ابا * وانت غيث الورى لا زلت رحمانا

قال وجواب الزمخشري بان ذلك من تعنتهم في الكفر غير سديد اه ولله در القائل حيث يقول في رد قولهم :

صغرت بالذل يابن الارذلين ابا * وانت شر الورى لا زلت شيطانا

واهل البديع تكلموا عليها من حيث ان بين الرحمن والرحيم من انواع الجناس جناس الاشتقاق

واهل العروض تكلموا عليها من حيث انها اشتملت على ستة اسباب خفيفات ووتدين مفروقين

واهل الحساب تكلموا عليها من حيث انها تسعة عشر حرفا . قال الامام

الفخر الرازي وهذا العدد فيه فائدتان . احداهما ان الزبانية تسعة عشر فالله يدفع باسهم بهذه الحروف . الثانية خلق الله تعالى الليل والنهار اربعة وعشرين ساعة ثم فرض خمس صلوات في خمس ساعات فهذه الحروف التسعة عشر تقع كفارات للذنوب التي تقع في تلك الساعات التسعة عشر . وعلى ان لكل حرف من حروفها عددا يخصه فمجموع عددها بالجمل الكبير على مذهب المغاربة الف وستة وعشرون وبالجمل الصغير ثلاث وستون . وعلى مذهب المشارقة مجموع عددها بالجمل الكبير سبعمائة وستة وثمانون وبالجمل الصغير ستة وستون عدد اسم الجلالة بالكبير فتفطن لهذا السر العجيب . وهذا الاتفاق الغريب . ومن الظرف ما يحكى ما ذكره ابو البقاء في الكليات ونصه : قال الامام العلامة محمد ابن سعيد الشهير بالبوصيري نور الله مرقده وفي اعلى غرف الجنان ارقده ان بعض النصارى انتصر لدينه وانتزع من البسملة الشريفة دليلا على تقوية اعتقاده في المسيح وصحة يقينه به فقلب حروفها ونكر . وفرق الوفها وقدم فيها واخر . ومكر وقدر . ثم عبس وبسر . ثم ادبر واستكبر . فقال :

قد انتظم من البسملة المسيح ابن الله المحرر . فقلت له فحيث رضيت البسملة بيننا وبينك حكما . وجوزت منها احكاما وحكما . فلتنصرن البسملة الاخيار منا على الاشرار . ولتفضلن اصحاب الجنة على اصحاب النار . قالت لك البسملة بلسان حالها . انما الله رب للمسيح راحم . النحر لامرها المسيح رب . ما برح الله راحم المسلمين . سل ابن مريم احل له الحرام . لا المسيح ابن الله محرر لا ترحم اللئام ابناء السحرة . رحم حر مسلم اناب الى الله . لله نبي مسلم حرم الراح . الحلم ربح . راس ماله الايمان . فان قلت انه رسول صدقتك وقالت . ايل ارسل الرحمة من بلحم .

وايل من اسماء الله بلسان كتبهم . وبلحم بيت اللحم الذي ولد فيه المسيح الى غير ذلك مما يدل على ابطال مذهب النصارى . ثم انظر الى البسملة تجبر ان

من وراء حولها خيولا وليوثا . ومن دون ظلها سيولا وغيوثا . ولا تحسبي استحسنت كلمتك الباردة فنسجت على منوالها . وقابلت الواحدة بعشر امثالها بل اتيتك بما يغتك فيهتك . واسمعك ما يصمك عن الاجابة ويصمتك . فتعلم به ان هذه البسملة مستقر لسائر العلوم والفنون . ومستودع جوهر سرها المكنون . الا ترى ان البسملة اذا حصلت جملها كان عددها سبعمائة وستة وثمانين فوافق جملها . مثل عيسى كمثل آدم . ليس لله من شريك . بحساب الالف التي بعد لامي الجلالة . ولا اشرك بربي احدا . يهدي الله لنوره من يشاء . باسقاط الف الجلالة فقد اجابتك البسملة بما لم تحط به خبرا وجاءتك بما لم تستطع عليه صبرا اه

واهل الرياضة تكلموا عليها من حيث الاستعمال في الازمنة والامكنة ومن حيث الذكر والزجر ومن حيث توجه الهمة بها حتى يتمكن مستعملها في مقامات الرسوخ ويدرك مدارك الشيوخ فيصير لسان حاله يقول وجنانه في جانب الحضرة الالاهية يجول .

انت وردي اذا ظمئت الى الما ✲ وقوتي اذا اردت الطعاما
واذا كنت انت قوتا لعبد ✲ كان عبدا له الكمال تماما

واهل الطبيعة تكلموا عليها بحسب الطبيعة على ما اقتضته المذاهب المشرقية والمغربية كمذهب من يقول طبائع الاشياء تعرف بحسب اوائلها فهي عنده باردة يابسة . ومذهب من يقول تعرف بحسب الحرف الذي كثر عدده في الشيء المطلوب فهي عنده حارة يابسة . وغير ذلك مما هو مطلوب في محله وعند اربابه

واهل سر الحرف تكلموا عليها من حيث الحروف النورانية والظلمانية والسعيدة والنحسة والشمسية والقمرية والناطقة والصامتة والمتساوية والغالبة والمغلوبة والطالبة والمطلوبة ومن حيث التكسير والتوفيق والتكعيب والاستنطاق ومن حيث الروح والعقل والنفس والذات وغير ذلك مما هو معلوم .

واهل الاسرار تكلموا على خواصها وما لها في العالم الجسماني والروحاني من التأثيرات فمن ذلك ما قاله الامام الغزالي رحمه الله من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثنى عشر الف مرة آخر كل الف يصلي ركعتين ثم يسأل الله حاجته اي حاجة كانت ثم يعود الى القراءة فاذا بلغ الالف فعل مثل ذلك من الصلاة والدعاء الى انقضاء العدد المذكور فان حاجته تقضى باذن الله اه ومن تلاها مائة وثلاثة عشر مرة والخطيب على المنبر ويدعو مع الخطيب ويسأل حاجته يحصل مطلوبه ومن تلاها عند النوم خمسين مرة امنه الله تعالى من شر ما يؤذيه . واذا تليت احدى واربعين مرة في اذن مصروع افاق . واذا كتبت في باب محل امن من في ذلك المحل من كل ضر ما دامت مكتوبة عليه . حكى الامام الفخر الرازي في تفسيره ان فرعون قبل ان يدعي الالاهية بنى قصرا وامر ان يكتب بسم الله على بابه الخارج فلما ادعى الالاهية وارسل اليه موسى عليه السلام ودعاه فلم ير به اثر الرشد قال الاهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال الله تعالى ياموسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا انظر الى ما كتبه على بابه . والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج صار آمنا من الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من اول عمره الى آخره كيف يكون حاله اه وقال ايضا كتب قيصر الى سيدنا عمر رضي الله عنه ان بي صداعا لا يسكن فابعث الي دواء فبعث اليه سيدنا عمر قلنسوة فكان اذا وضعها على راسه يسكن صداعه وان رفعها عن راسه عاوده الصداع فعجب منه ففتش القلنسوة فاذا فيها كاغد مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم اه زاد بعضهم انه قال ما اكرم هذا الدين واعزه شفاني الله بآية منه فاسلم وحسن اسلامه .

(تنبيه جليل لكل نبيه نبيل) اعلم ان اهل الاسرار كالاوفاق والحروف ونحوها مجمعون ومطبقون على ان ما في كتبهم انما هو محض اقوال لا تأثير لها بمجردها لما خلت عنه من سر الافعال . وذلك منهم قدس سرهم صيانة للاسرار من ان تقع في يد الاشرار . لكن ربما ذكروا في بعض المواضع بالاشارة المرموزة .

والالفاظ الموجوزة ، بعض اصول الفعل ، وما ينتج بالقول . وتلك الاصول لا يتفطن لها الحاذق اللبيب . فضلا عن غيرة لانها ربما تكون بعبارة يتحقق بذهنه انه ليس فيها من ذلك نصيب . وتلك الاصول مصونة باسوار التمويهات . عمن لا يدري محكم الاصطلاحات ، ومنسوخ العبارات . وذلك هو الموقع في انكار اهل الهمم القاصرة . لهذه العلوم الناضرة . والمنكر لذلك لا يخلو اما ان ينفي تلك المصنفات عن مؤلفيها بان يقول انها مزورة عليهم . وهذا يوقع في الطعن على من اثبتها لهم من المؤرخين المشهورة عدالتهم . ويوقع ايضا في عدم التصديق بالكتب المنسوبة للمتقدمين . وهذا من سوء الظن و :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

او يثبت عنده انها المنسوب لهم ولكن ما في ذلك لا يصدق به ويصدق بما يقولونه في غير هذه العلوم . وهذا لا ينبغي ان يقول به عاقل . والعذر للمنكر انه لما صعب عليه ادراك ذلك او ظن انه فهم ما فيها فجرب على مقتضى فهمه الناقص فلم يحصل على طائل جرد لذلك لسان العتب . وهذا لا ينبغي لذي لب .

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فان الله لم يحقره اذ آتاه اياه » . وفي رواية « ان من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا تكلموا به لا ينكره عليهم الا اهل الغرة بالله تعالى » او علم المنكر ما في تلك الكتب علم يقين لكن اخذته الغيرة الالاهية على ذلك كما قال القائل :

اغار عليها ان ترى الشمس وجهها * بغير خمار والمحب غيور

فأتي ذلك من هذه الحيثية ليس بمنكر حقيقة وانما ذلك منه غيرة . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « الغيرة من الايمان والمراء من النفاق » .

او يكون حمله على الانكار النصيحة . وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « الدين النصيحة » وذلك لعلمه ان تلك الاصول لا يمكن اخذها من الاوراق ومتعاطي ذلك من الكتب المؤلفة في تلك الفنون لا تصح له نتيجة مطردة اصلا فيضيع عمره سبهللا . ورضي الله تعالى عن سيدنا الشيخ حيث اجاب بعض من سأله عن تعاطي بعض الخواص الحرفية والفقهية كالتصرف بالدائرة الشاذلية واسمائها . ونصه « اعلم ان التمسك بما في كتب اهل الخواص من دائرة الشاذلي رضي الله عنه واسماء الله والحروف والجداول كله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ما في جميعها الا التعب والطمع الذي لا يوجد فيه قليل من الفائدة ولا جدوى من العائدة الا ان لتلك الاسرار تصاريف عالية وافعالا عظيمة لكنها مشروطة بالوقوف على امرين لا ينال احد بدونهما شيئا . الامر الاول هو الفتح للعبد في كمال المعرفة العيانية الباطنية فصاحبها لا يتوقف على وجود شرط او زوال مانع متى اراد شيئا اوجده بتلك الاسباب . والامر الثاني ان لتلك الاسرار ارواحا علوية طاهرة مطهرة قائمة بتصريف تلك الاسرار دائمة التمادي في التصرف باسرارها وتلك الروحانية لها طرق مخصوصة يتوصل بتلك الطرق الى تسخير روحانيتها حتى لا يتوقف داعيها في شيء الا اجابت في اسرع من طرفة العين وهذه الطرق لا يعلمها الا الاولياء . وقد اخذ العهد على الاولياء في ظهر الغيب انهم لا يطلعون على هذه الاسرار او شيء منها احدا من الواقفين مع حظوظهم ومن تعدى منهم في شيء واطلع عليه احدا من اهل الحظوظ ابتلي ببلية عظيمة اما بقتلة شنيعة واما ان يسلط عليه وارد من قبل الحق يستاصل ماله وولده واما ان يبتليه الله بالفقر وعدم الصبر عليه او بالسلب او بالكفر نسأل الله السلامة والعافية من ذلك كله بجاه النبي وآله . وما مثال ذلك الا كحصن عظيم مملوء بخزائن الكنوز والاموال والتحف مما يقضي بتوفية جميع الاغراض وعلى ذلك الحصن اسوار عظيمة من حديد في غاية ما

يكون من الغلط والتوثيق ولا ابواب لتلك الاسوار ولا مفاتيح ثم ان لتلك الاسوار وذلك الحصن ابوابا وطرقا مخبوءة تحت الارض تأتي من الحصن على مسيرة ستة ايام او سبعة ايام تحت الارض كل من سلك طريقا من تلك الطرق افضت به الى الحصن التي تحت الارض ودخل الحصن واخذ كل ما اراد ورجع من طريقه فهو ابدا يدخل من تلك الطريق ويخرج منها ووضعت ابواب تلك الطرق من خارج مغلقة مدلسة عليها بحيث ان لا يوقف عليها الا بالنقل والاخبار ومن لم يخبر بتلك الابواب لا يهتدي لتلك الطرق ولا يدخل الحصن . فالرجل الاول المفتوح عليه بالمعرفة متى جاء الى الحصن زالت عنه تلك الاسوار من غير تعمل منه ووصل الى كنوزها من غير مشقة . واصحاب الامر الثاني هم العلماء بالطريق التي يهتدي بها الى تسخير الروحانية والتصرف فيها والبلوغ بها الى كل غرض وهم الذين في المثال الثاني المطلعون على الطرق المخبوءة تحت الارض المدلسة ابوابها . والعامة الخارجون عن هذين الامرين بمنزلة من يطوف حول الحصن يريد ان ينال مما في داخله من الكنوز من غير باب ولا مفتاح فليس له من طوافه الا التعب . نعم قد يقع في بعض الاحيان للعامي الذي لا حظ له في الامرين الاولين اجابة في امر من الامور وقعت بنفحة الاهية اقتضت تلك النفحة منه سبحانه وتعالى ان كل من طلب منه في وقت تلك النفحة شيئا سواء علم تلك النفحة او جهلها او علم وقتها او جهله ان يعطيه في ذلك الوقت سؤاله سواء كان على جادة مستقيمة او على غير صواب سواء كان اهلا لذلك السؤال ام لا لكن لا يطرد له في كل ساعة او في كل مطلب لان تلك الاجابة اقتضتها تلك النفحة الالاهية البارزة من الحق سبحانه وتعالى لا انه اقتضاها عليه بذلك السر وتلك الخاصية . فان اصحاب الامرين الاولين تطرد لهم الاجابة في كل مطلب وفي كل ساعة . وهذا الثالث لا تقع له الاجابة الا اذا وافقت نفحة الاهية بحكم الاتفاق وفيما ذكرناه كفاية لمن فهم فلا تتعبوا انفسكم من الاسرار والخواص

في شيء. والزموا الامر الذي قلناه لكم في الوصية فهو انفع» اه جواب سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به وهو مما يحق ان يكتب بسواد العيون على صفائح القلوب . فان قيل حيث كان هذا فما فائدة هذه الكتب المؤلفة في هذه العلوم ونحوها من كتب الاسرار كان من حق من تقدم ان لا يصنفوها . اجاب غير واحد من فحول هذا الميدان كابن ارفع راس صاحب شذور الذهب بقوله فيها :

فان قيل فيم النظم والنثر ان يكن ✻ كلامكم فيه عن القصد نائيا
فان جوابي عنه ان مرادنا ✻ به رجل لا يبرح الدهر جاثيا

وقال الشيخ سيدي احمد زروق رضي الله عنه علوم الاسرار من الحروف والاسماء وغيرها هي علوم وهب وفتح لم يتكلم فيها اهلها الا اعانة لمن له فتح وافادة لمن له حقيقة اه وايضا فقد علم ضرورة انه لا تدرك حقائق الاشياء من العلوم وغيرها الا بوجود شيخ منبه . وقد افصح عن المراد الامام الشيرازي في قوله واجاد :

اطلب العلم من صدور الرجال ✻ ودع الكتب فهي عين الضلال
كلما سطر الاوائل فيها ✻ من صريح الاقوال والافعال
ضربوه للطالبين مثالا ✻ فاضلوهم بضرب المثال

الى ان قال :

انما توخذ العلوم من العا ✻ لم لا من مسطرات المحال

ومن كتاب نفحة اليمن :

ليس في الكتب والدفاتر علم ✻ انما العلم في صدور الرجال
كل من يطلب العلوم فريدا ✻ دون شيخ فانه في ضلال

ولا سيما هذه العلوم ونحوها فانها لا تدرك الا بدليل ولله در القائل من هذا القبيل :

ولا بد من شيخ يريك شخوصها ✻ وان كنت ذا علم جمعت المعانيا(١)

(١) ان عجز هذا البيت لغير صاحب « الشذور »

والا فلا ترتع بها فهي روضة * قد امتلأت (١) للرائدين افاعيا

وفي هذا القدر كفاية لمن له دراية .

واهل الاسم اختلفوا هل هي قريبة من اسم الله العظيم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وايد بحديث رواه الحفاظ الاعلام عنه عليه الصلاة والسلام . انه قال « ما بين بسم الله الرحمن الرحيم والاسم الاعظم الا ما بين سواد العين وبياضها » . وفي المستدرك وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال « هو اسم من اسماء الله تعالى وما بينه وبين الاسم الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب او هي اسم الله العظيم الاعظم » . وتخلف الاجابة به عن وقت الدعاء لعدم شروطه التي منها اكل الحلال والصدق . ولهذا قال وهيب ابن الورد وكان من الابدال « لو قال بسم الله صادق على جبل لزال » وقال الحلاج « بسم الله من العبد بمنزلة كن من الحق » (قلت) والمراد بالعبد هنا العبد الصادق الغائص في بحر الحقائق . المشغول بالعبادات . التارك للمحرمات . لان بذلك تصح عبوديته . وتصفى من كدرات الهوى سريرته . فتذعن له الاكوان . وان قال كن لشيء كان . ولله در الامام ابن عربي حيث يقول في فتوحاته المكية :

اذا صحت عبادة كل عبد * تصح له السيادة في الوجود
فيحكم مثل سيده وتبدو * عليه بذاك اعلام المزيد
ويخبرنا لسان الحال عنه * بان الامر فيه من الشهود
له تعنو الوجود اذا تبدى * كما تعنو الملائك للسجود
فيسمو رفعة وينال عزا * فيدعى بالمراد وبالمريد

وهذا هو عين التصوف . ولب التعرف . ورحم الله القائل :

اذا ما صفا الصوفي فالاكوان ملكه * يحرق لاستار وقلب لاعيان

---

(١) الرائدين جمع رائد وهم الذين يرسلون في طلب الكلا .

وان قال كن كان المقول منفذا * وذلت له الاشياء طوعا باذعان
له بقوى الاسم العظيم تحكم * وطاعت له الاشيا بسر واعلان

(استطراد) اعلم انهم ذكروا في اشتقاق التصوف اقوالا . وفي حدوده اقوالا . فقيل انه مشتق من الصفاء لان الصوفي في مقام الذوق . وشهود الحق . ولذلك قال سهل بن عبد الله انما الصوفي من صفا من الكدر . وامتلا من الفكر . وقال ابو تراب الصوفي من يصفو به كل شيء . ولا يكدره شيء . وقيل التصوف مأخوذ من الصف لان اهله اهل الصف الاول بين يدي الله تعالى بارتفاع هممهم واقبالهم عليه بقلوبهم . وقيل الصوفي منسوب الى اهل الصفة من الصحابة رضي الله عنهم الذين نزل فيهم قوله تعالى « للفقراء الذين احصروا في سبيل الله » الآية قال في عوارف المعارف وهذا صحيح من حيث المعنى وان كان لا يستقيم من جهة الاشتقاق لمشاكلة احوالهم باحوال هؤلاء السادة رضي الله عنهم اه وقيل مشتق من الصوف لانه شعار اولي الاصطفاء من الخلق ولذلك كان الولي الصالح سيدي احمد الرفاعي يقول لمن يرى عليه جبة صوف يا ولدي انظر بزي من تزيت والى من انتسبت . قد لبست لبسة الاولياء . وتحليت بحلية الاتقياء . هذا زي العارفين . فاسلك فيه مسالك المقربين . والا فانزعه والسلام اه وقال الامام القشيري رحمه الله لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء او من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه اه قال المحقق ابن خلدون بعد هذا قلت والاظهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف اه ورحم الله ابا الفتح البستي حيث حكم بين هذه الاقوال بقوله :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا * فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

وقد سئل سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به عن حقيقة التصوف فاجاب رضي الله عنه بقوله : اعلم ان التصوف هو امتثال الامر واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى اه وقال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي في كتابه مفتاح الشفاء « اصل علم التصوف الانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا اختص المعرضون عنها المقبلون على ربهم باسم الصوفية » اه وقال الامام الغزالي قدس سره « التصوف سلامة الصدور واتباع الرسول والا فالشيطان دليله . وهواه معبوده » اه وقال العارف بالله الشعراني في طبقاته « التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الاولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب واسرار وحقائق تعجز الالسن عنها ولذا قيل :

علم التصوف علم ليس يدركه * الا اخو فطنة بالحق معروف

وكيف يعرفه من ليس يشهده * وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

وقال معرف الكرخي التصوف الاخذ بالحقائق والياس مما في ايدي الخلائق ولذلك قال الشبلي الصوفي من اتصف بمراقبة الحق . وانقطع امله من الخلق وسئل لم سمي الصوفي ابن الوقت فقال لانه لا يأسف على الفائت . ولا ينتظر الوارد . وسئل رويم عن الصوفي فقال هو الذي لا يملك شيئا ولا يملكه شيء . وقال ايضا التصوف ترك التفاضل بين الشيئين . وفي الفتوحات المكية قال اهل طريق الله رضي الله عنهم التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وانشد فيها :

ان الحديد اذا ما الصنع يدخله * في غير منزله يرده ذهبا

كذلك الخلق المذموم يرجع محمـ * ـودا اذا هو للرحمن قد نسبا

ان التصوف اخلاق مطهرة * مع الآلاء فلا تعدل بها نسبا

وفي موضع آخر منها يقال من زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف مذ هبهم الاجتماع على قلب واحد اسقطوا الياآت الثلاث فلا يقولون لي ولا عندي

ولا متاعي اي لا يضيفون الى انفسهم شيئا اي لا ملك لهم دون خلق الله » الخ كلامه
وقيل التصوف صفاء السرائر واستقامة الظواهر . وقيل التصوف حلية البواطن
بانوار الاسرار لا لبس المرقعات والاطمار . وقيل التصوف خشوع القلوب .
لعلام الغيوب . لا لبس المرقعات واظهار النسكات فان :

قول الفقير انني فقير * الى الظهور دائما يشير

ولله در طاهر بن الحسين المخزومي حيث قال :

ليس التصوف ان يلاقيك الفتى * وعليه من نسج النحوس مرقع
بطرائف بيض وسود لفقت * فكانه فيها غراب ابقع
ان التصوف ملبس متعارف * يخشى الفتى فيه الاله ويخشع

وانشد الشطي في شرحه للمباحث الاصلية :

لا تأمن لمقالتي يا صاح * واقبل هديت نصيحة النصاح
ليس التصوف حلية وتكلفا * وتقشفا وتواجدا بصياح
بل عفة ومروءة وفتوة * وقناعة وطهارة بصلاح
وتقى وعلم واقتداء واهتدا * ورضى وصدق والوفا بسماح
تاء التقى صاد الصفا واو الوفا * فاء الفتوة فاغتنم يا صاح
من قام فيه بحقه وحقوقه * وخلا عن الحدثان والاشباح
تتشعشع الانوار من اسراره * كتشعشع المشكاة في المصباح

واجاد القائل :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه * ولا بكاؤك ان غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب * ولا تغاش كان قد صرت مجنونا
بل التصوف ان تصفو بلا كدر * وتتبع الحق والقرآن والدينا
وان ترى خاشعا لله مكتئبا * على ذنوبك طول الدهر محزونا

وقال الشيخ الامام سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله في كتابه « رياض

الصالحين . وتحفة المتقين » كان الشيخ ابو القاسم القشيري اذا جلس الى الصوفية وعليهم المرقعات ينشد هذه الابيات :

لا والذي حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها
ما ابصرت عيني سواد قبلة * الا ذكرت احبتي بفنائها
اما الخيام فانها كخيامهم * وارى نساء الحي غير نسائها

ثم يقول ان الهيئات معروفة . واما القلوب فمنكورة . اه (انعطاف) او انما اسم الله العظيم الاعظم هو اسم الجلالة المحتوية عليه البسملة وايد بما في البخارى عن جابر بن عبد الله قال اسم الله الاعظم هو الله . وبما خرج ابن ابي الدنيا وابن ابي شيبة عن الشعبي قال اسم الله الاعظم يا الله وبان الجمهور عليه . وبان له خصائص لم تكن لغيره من الاسماء . منها انه تكرر في القرآن العظيم في الفين وثلاثمائة وستين موضعا . ومنها ان جميع الاسماء له اوصافا وهي لا توصف به . ومنها ان الله تعالى حبس السن الخلائق على ان يسموا به غيره مما في العالم من اوثان ونحوها قال تعالى « هل تعلم له سميا » . وقد قال ان بعض الكفرة ازداد له ولد فاراد ان يسميه به فهبطت نار من السماء فاحرقته وقيل ابتلعته الارض ومنها انه اجمعت عليه الامم فلم ينكره في الظاهر من لدن آدم مؤمن ولا كافر الا افذاذ تألهوا قال تعالى « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » . ومنها انه هو نور الاكوان الذي جل ان يدرك بالاذهان قال تعالى « الله نور السموات والارض » الآية . ولبعض العارفين فيه :

اسم به الكون استفاد هياة * في ارضه وفضائه وسمائه
لا يحصر الوصاف بعض صفاته * كلا ولا يدرون كنه سنائه
حارت عقول القوم عند صفاته * ضاقت قلوب الخلق من لألائه

ومنها ان من تسمى به قال في حقه « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » ويرحم الله ابن عطاء الله حيث قال :

تباركت يا من لا يحاط بوصفه * فما قدر قولي واللسان كليل
بحق تنزهت قديما فمن لنا * بادراك وصف والمقام طويل
فلو كانت السبع البحار امدة * لوصفك لم يوجد لذاك سبيل
فانت كما نزهت نفسك والذي * يقول به فيك الانام قليل

وقال فيه عز من قائل « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » ويرحم الله الامام ابن عربي حيث قال :

ولو ان البحار لنا مداد * واشجار المهاد لنا يراع
وجاء صريرها في اللوح يسعى * وحركنا لذكركم السماع
لما نفدت به كلمات ربي * وساوى القاع في المجد البقاع

ومنها ما قاله الامام الفخر الرازي في تفسيره هذا الاسم (الله) اقوى الاسماء في تجلي ذاته لانه اظهر الاسماء في اللفظ وابعدها معنى عن العقول فهو ظاهر باطن يعسر انكاره ولا تدرك اسراره . قال الحسين بن منصور الحلاج .

اسم مع الكون قد تاهوا به ولها * ليعلموا منه معنى من معانيه
والله ما وصلوا منه الى سبب * حتى يكون الذي ابداه مبديه

ومنها انه اذا لم يبق احد يذكره تقوم الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة وعلى الارض من يقول الله الله » .

ومنها ان له في عالم الارواح تأثيرات . وفي عالم الاشباح تطهيرات . ترتاح لذكره النفوس . وتعنو لسماعه الرؤوس . فهو كما قيل :

اسم اذا قرع القلوب تمايلت * طربا وتمت بالتقى اسرارها
واذا حدا الحادي بطيب حديثه * طابت وفاحت بالرضى ازهارها
ترتاح ان ذكر اسمه ويهزها * طربا اذا حفت به اوكارها
واذا ابتدأت بذكره في حضرة * حضر السرور بها وطاب مزارها

وانما تختلف الاجابة عن وقت الدعاء به لامور منها . أنه لم يجزم بانه اسم الله الاعظم و ذلك لكثرة وروده على الالسنة حتى لم يتحقق به احد . ومنها فقد شروطه التي منها معرفة كيفية الدعاء به وهو شيء مكتوم وبين ذويه مشهور معلوم لكنه :

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم » وكذا دماء البائحين تباح

كما تقدم التنبيه على ذلك .

واعلم انهم ذكروا في الاسم الاعظم اقوالا ولكل حجة . فمنهم من قال هو « يا ارحم الراحمين » مستدلا بما روى عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان لله ملكا موكلا بمن يقول يا ارحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك فاسأل » .

ومنهم من قال هو كهيعص بشرط ان يعرف الذاكر معناه ولذلك سئل سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه عن معنى كهيعص قال للسائل لو فسرتها لك لمشيت على الماء يعني لانخرقت عادتك لان الذي ادرك الحوارق انخرقت له الاشياء

ومنهم من قال هو هو قال الامام السيوطي نقله الفخر الرازي عن بعض اهل الكشف واحتج له بان من اراد مخاطبة معظم بحضرته لا يخاطبه الا بضمير الغيبة تأدبا معه اه وقال العارف بالله سيدي عبد الكريم الجيلي في كتابه الانسان الكامل . اجتمعت ببعض اهل الله بمكة زادها الله تعالى شرفا سنة 799 فذاكرني في الاسم الاعظم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم انه في آخر سورة البقرة واول سورة آل عمران وقال انها كلمة (هو) وان ذلك مستفاد من ظاهر كلام النبي صلى الله عليه وسلم لان الهاء آخر قوله سورة البقرة والواو اول قوله وسورة آل عمران . وهذا الكلام وان كان مقبولا فاني اجد للاسم رائحة اخرى وما اوردت ما قاله هذا العارف الا تنبيها على شرف هذا الاسم وكون الاشارة النبوية وقعت عليه من الجهة المذكورة انه اعظم الاسماء اه

ومنهم من قال هو (الحي القيوم) قال الامام الدميري في حياة الحيوان سئل الامام النووي رحمه الله عن اسم الله الاعظم ما هو وفي اي سورة هو . فاجاب رضي الله عنه بقوله فيه احاديث كثيرة ففي سنن ابن ماجه وغيره عن ابى امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « في ثلاث سور في البقرة وآل عمران وطه » قال بعض المتقدمين هو (الحى القيوم) لانه في البقرة وآل عمران وطه . وهذا استنباط حسن اه قيل ويؤيده قول النبى صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب « ما اعظم آية في كتاب الله تعالى فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال صلى الله عليه وسلم ليهنك العلم ابا ذر » . وقال الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الشامي رحمه الله اسمه تعالى (القيوم) فيه جزآن والله اعلم من الاسم الاعظم الكبير لاني سألت الجامع شيخ الجماعة عن القاف اهو من الاسم الاعظم الكبير فقال لي نعم . وسمعت من احد الامامين قال سمع من الغوث الجامع قال الميم من الاسم الاعظم الكبير . وهذا المعنى اجتمع في (القيوم) اوله من الاسم الاعظم وآخره منه اه .

ومنهم من قال هو (يا الاهنا والاه كل شيء الاها واحدا لا اله الا انت يا ذا الجلال والاكرام) . قال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي رحمه الله قال بعض المفسرين في قوله تعالى « قال الذي عنده علم من الكتاب » قيل انه آصف بن برخيا ابن خالة سليمان وكان عنده علم الاسم الاعظم من اسماء الله عز وجل والدعاء الذي دعا به هو ان قال « يا الاهنا والاه كل شيء الاها واحدا لا اله الا انت يا ذا الجلال والاكرام ائتني بعرشها » اه والظاهر انه اسرع من ذلك وانه كلمح البصر كما تشير اليه القصة لكون صاحبه من اهل التصريف والقبضة اه كلام الفاسي .

ومنهم من قال هو « يا ذا الجلال والاكرام » لما روي انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فسل . واحتج له الامام الفخر الرازي بانه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الالوهية لان في الجلال اشارة لجميع السلوب وفي الاكرام اشارة لجميع الاضافات اه .

ومنهم من قال بما روى ان انس بن مالك رضي الله عنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل يصلي ثم دعا اللهم اني اسألك بأن لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد دعا الله باسمه العظيم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ».

ومنهم من قال هو « اللهم اني اسألك بأني اشهد انك انت الله لا الاه الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد » لما ورد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول ذلك فقال « لقد سأل الله بالاسم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب » وفي رواية « لقد سأل الله باسمه الاعظم » قال الحافظ ابن حجر وهو ارجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك اه

ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها عظيمة. قال الامام ابن عربي في الفتوحات قيل لابي يزيد البسطامي ما اسم الله العظيم الاعظم فقال اروني الاصغر حتى اريكم الاكبر اسماء الله كلها عظيمة فاصدق وخذ اي اسم شئت من اسماء الله فانه اسمه الاعظم اه

ومنهم من قال اسمه الاعظم كامن في ذات كل مخلوق فاذا تحقق بما انطوت عليه ذاته من دقائق الحكم وما خلق لاجله واقسم على الله باسمه لابره. قال الامام ابن عربي لقيت الشيخ ابا احمد ابن سيدبون بمرسية وسأله انسان عن اسم الله الاعظم فرماه بحصاة يشير اليه انك اسم الله الاعظم اه وحكى الامام البوني في شمس المعارف واللفظ له وابن زكري في الالمام وغيرهما ان ابا الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال كنت جالسا عند شيخي عبد السلام ابن مشيش وكان عنده طفل صغير من اولاده وكنت اسأل من الشيخ الاسم الاعظم فاردت ان اسأله في هذه الساعة فجاء الطفل وجلس في حجري وجعل يده في لحيتي وقال

لي يا عم انت اسم الله الاعظم فقال لي الشيخ رضي الله عنه قد اجابك الطفل فافهم اه الى غير ذلك من الاقوال التي يطول تتبعها . والقول الحق الذي لا محيد عنه هو ان اسماء الله تعالى كلها عظيمة والكبير عليها هو اسم الجلالة والعظيم الاعظم محجوب الا لمن منحه الله اياه بمحض الفضل . قال في السراج الوهاج في اقتطاف ثمرة المحتاج . هذا الاسم يعني اسم الجلالة اشتمل على عين الحق وهو عند اهل الظاهر اسم الله العظيم الاعظم وجميع الاسماء داخلة تحت معناه وهو عندهم كالبحر والاسماء عيون نابعة من هذا البحر . واما اسم الله الاعظم عند اهل الحق فهو خاص بالذات العلية وهو محجوب في عالم الغيب ومنه يفاض على اسم الجلالة . والحق ان يقال اسم الذات كالبحر الذي لا ساحل له واسم الجلالة كالوادي العظيم الطالع من هذا البحر والاسماء كالعيون النابعة من هذا الوادي الغزير اه وقال في جواهر المعاني اثناء ما ذكره عن سيدنا رضي الله عنه من الكلام في الاسم الاعظم ما نصه . وقال رضي الله عنه ان الاسم الاعظم هو الخاص بالذات لا غيره وهو اسم الاحاطة ولا يتحقق بجميع ما فيه الا واحد في الدهر وهو الفرد الجامع . ثم قال رضي الله عنه هذا هو الاسم الباطن واما الاسم الاعظم الظاهر فهو اسم المرتبة الجامع لمرتبة الالوهية من اوصاف الالاه ومالوهاته وتحته مرتبة اسماء التشتيت ومن هذه الاسماء فيوض الاولياء فمن تحقق بوصف كان فيضه بحسب ذلك الاسم ولاجل هذا كانت مقاماتهم مختلفة واحوالهم كذلك وجميع فيوض المرتبة بعض فيوض اسم الذات الاكبر اه قال في البغية فافاد رضي الله عنه انهما اسمان اعظمان الاسم الاعظم الظاهر وهو الله جل وعلا اذ هو عين المرتبة التي هي الالوهية كما صرح بذلك المحققون . والاسم الاعظم الباطن وهو المخزون المكنون الذي لعزته كما قال العارف بالله البكري احفاه الله تعالى في اسمائه الحسنى ضمنه كتبه المنزلة على الوجه الاجل الاسنى ولم يطلع عليه الا افذاذ افراد في الازمنة المتطاولة اه الخ . وقال سيدنا رضي الله عنه قال لي سيد الوجود صلى الله

عليه وسلم «ان الاسم الاعظم مضروب عليه حجاب ولا يطلع عليه الا من اختص
الله بالمحبة ولو عرفه الناس لاشتغلوا به وتركوا غيره و من عرفه وترك القرآن
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على ما يرى فيه من كثرة الفضل فانه يعلو
على نفسه » اه .

وفي معرفته والعلم به خصائص وفضائل ولو كان ما في فائدة معرفته الا ما
الحصبصبة . وهي ما ذكره سيدنا رضي الله عنه وهو ان من عرف لفظه دون
اسراره كان مأمونا من السلب لا يقدر عليه احد وان كان لم يفتح عليه بالولاية ولا
يقدر على سلبه الا القطب اه لكفت . واما فضل ذكره فهو مما لا تقبله عقول
من لا اطلاع لهم على سعة فضل الله وكرمه . وهو مراتب وصيغ وتختلف
فضله باختلاف ذلك وبحسب المأذون لهم فيه وغير ذلك . وقد تلقى سيدنا رضي
الله عنه جميع ذلك من الحضرة المصطفوية عليها ازكى الصلاة والسلام . انظر
(جواهر المعاني) والله الموفق .

واهل علوم النقطة اعني من باء بسم الله الرحمن الرحيم هم اجناس . منهم
اهل علم تدقيق الميزان فتكلموا عليها من حيث انها نقطة الابتداء الناشئة منها
نقطة الضياء البارزة عن نقطة الظل من جهة كونها مركز العالم وظهور نقطة
السعادة ونقطة الشقاوة منها وتركيب الذرات المتناهية المحصورة بحكم الاطراد
والعكس والضم والتفريق وتسمية كل بما هو موسوم به ومطمح نظرهم متعلق
بقوله تعالى « الم تر الى ربك كيف مد الظل » .

ومنهم اهل علم الرمل فتكلموا على وجودها وعدمها وتركيب الاشكال
الستة عشر منها واقسام الاشكال على الطبائع الاربع وتوزيع الحروف الثمانية
والعشرين والمنازل عليها وارتباطها بالبروج الاثنى عشر والافلاك التسع والدراري
السبع واخذ كل واحد على مقتضى ذلك حكمه من حيث الاسم والرسم والعدد
واللون وغير ذلك ولولا خوف الاطالة والخروج عن المقصود لفصلت ذلك

تفصيلا « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ». واعلم ان الكلام على البسملة بل على نقطتها بحرز اخر . قد خاض في لججه الاوائل والاواخر . حتى ذكر العارف بالله الشعراني ان اخاه سيدي افضل الدين استخرج من الفاتحة مائتي الف عام وسبعة واربعين الف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما وقال هذه علوم امهات علوم القرآن ثم ردها الى البسملة ثم الى الباء ثم الى النقطة التي تحت الباء اه . وقال مفتاح مدينة العلم سيدنا علي كرم الله وجهه « لو شئت لاوقرت لكم ثمانين بعيرا من علوم النقطة التي تحت الباء » اه قال الولي الصالح سيدي العربي ابن السايح وقفت على بعض التقاييد على ان الشيخ محمد البكري رضي الله عنه تكلم على نقطة باء البسملة في ازيد من الفي مجلس ونسبه مقيده لمسالك الهداية الى مقام الرواية ورأيت ما يؤيده وهو انه ذكر في مناقب الشيخ البكري رضي الله عنه انه قرأ في نقطة البسملة اربعة عشر عاما اه فلم يقفوا الا على نقطة من بحر بل الا على ما هو اخفى وادق من الذر فلينبغي كف عنان البنان . عن الجولان في هذا الميدان .

قل للذي يدعي في العلم معرفة * علمت شيئا وغابت عنك اشياء

وحسب الموفق ان يقول « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم » والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . وقول المصنف (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما) ابتدأ بهذه الجملة ابتداء اضافيا لامور عملا بحديث (١) « كل ذي بال لا يبتدأ فيه بذكر الله ثم بالصلاة علي فهو اقطع اكتع » وتخلقا بقوله تعالى « ورفعنا لك ذكرك » لما في ذلك من التنويه بقدر هذا النبي العظيم . ومن التنبيه على ما اولاه مولانا الكريم . لعل ان يلغ جامعهما المقام المحمود . ويدخل في زمرة هذا المصطفى سيد الوجود . صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هذا الحديث وان قيل انه ضعيف فالعمل به ونحوه في الفضائل محمود كما نصوا على ذلك اه

وشرف وكرم ومجد وعظم . ذكر الامام الفخر الرازي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع خاتمه الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقال اكتب فيه « لا الاه الا الله » فدفعه الى النقاش وقال له اكتب فيه « لا الاه الا الله محمد رسول الله » فكتب النقاش فيه ذلك فاتى ابو بكر بالخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فيه « لا الاه الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق » فقال يا ابا بكر ما هذه الزوائد فقال ابو بكر يا رسول الله ما رضيت ان افرق اسمك عن اسم الله واما الباقي فما قلته وخجل ابو بكر فجاء جبريل عليه السلام وقال يا رسول الله اما اسم ابي بكر فكتبته انا لانه ما رضى ان يفرق اسمك عن اسم الله فما رضى الله ان يفرق اسمه عن اسمك اه وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اتاني جبريل فقال ان ربى وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك يعني في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي » . وقال قتادة « في هذه الآية رفع الله ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا وهو يقول اشهد ان لا الاه الا الله وان محمدا رسول الله » اه قال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وضم الالاه اسم النبي الى اسمه ، اذا قال في الخمس المؤذن اشهد

ونعما للاجماع على الامر بكتابة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في اوائل الرسائل والكتب . قال الشيخ يوسف بن عمر قد وقع الاجماع بعد الصدر الاول على كتابة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في اوائل الكتب بعد البسملة اه باختصار . وفي الشفا من مواطن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي مضى عليها عمل الايمة ولم ينكرها احد اوائل الرسائل وما يكتب بعد البسملة وان لم يكن في الصدر الاول واحدث في ولاية بني هاشم لكن مضى به عمل الناس في اقطار الارض اه باختصار واقتلنا لفضيلة حديث « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له »

وفي رواية « تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب » قال الشيخ زروق يحتمل بالكتابة وهو اظهر وبالقراءة وهو اوسع وارجى اه انشد القسطلاني لابي بكر البرقاني :

وما لي فيه سوى انني * اراه هوى وافق المقصدا
وارجو الصلات بكتب الصلاة * على السيد المصطفى احمدا

والافضل الجمع بينهما . ويستانس بما في دلائل الخيرات عن بعض الصالحين انه قال كان لي جار نساخ فمات فرأيته في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت فيم ذلك فقال كنت اذا كتبت اسم محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب صليت عليه فاعطاني ربي ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولنتكلم على الفاظ هذه الجملة باختصار فاقول :

اعلم انهم اختلفوا في هذه الجملة هل تكتب بلا واو بناء على ان جملة البسملة خبرية وهي انشاء وعطف الانشاء على الخبر ممنوع على مذهب اهل البيان وابن مالك وابن عصفور وغيرهم . او على انها جملة استينافية وقيل تكتب بالواو تبعا للقول الذي يجوز عطف الانشاء على الخبر وهو مذهب سيبويه . او على الارجح من ان جملة البسملة انشائية ايضا . او على تقدير قول بين الواو والمقول اي واقول صلى الله الخ او معطوفا على مدخول باء البسملة كما قيل به . او الواو استئافية وغير ذلك . قال الشيخ ابو سالم العياشي في رحلته :

(لطيفة) ومن مفادات صاحب الترجمة يعني الشيخ شهاب الدين احمد بن التاج ما رايته في مجموع له بخط يد الطيب بن احمد البوعناني الجزائري وذكر لي انه رواه وكتبه من خط من ذكر ونصه [الحمد لله وجد بخط سيد احمد بن ايوب ما نصه : واما الواو من وصلى الله بعد البسملة فهكذا في المؤلف رحمه الله يعني سيدي عبد الرحمن الثعالبي وقد رويته عنه بواسطة الشيخ العارف بالله سيدي محمد ابن منصور الجزائري ابتدأ عليه قراءة الرسالة لابي محمد بن ابي زيد فقلت :

قل وصلى الله على سيدنا محمد قال قل وصلى الله على سيدنا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا عبد الرحمن الثعالبي قلت بسم الله الرحمن

فاني لما ابتدأت رواية البخاري على سيدنا محمد قال لي قل وصلى الله فاني ابتدأت الختمة على الاستاذ

الرحيم صلى الله على سيدنا محمد قال لي قل وصلى الله فاني ابتدأت الختمة على الاستاذ

سيدي ابي جمعة بجاية اريد الجمع قلت بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله قال قال

وصلى الله فاني رأيت سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم فاستاذنته ان اقرأ

عليه القرآن واذن لي فقلت بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد فقال لي

« صلى الله عليه وسلم قل وصلى الله » فهذا ما حدثني به سيدي محمد بن منصور

بالجامع الاعظم من مدينة الجزائر امنها الله ولهذا لم يوجد بخط هؤلاء الشيوخ

الا باثبات الواو ولهذا لم اكتبه بخطي الا باثباته اقتداء وتبركا بهم . هذا ما وجد

بخط سيدي احمد بن ايوب في نسخة من الانوار نسخها من خط مؤلفها الشيخ

الثعالبي ذكر ذلك في آخرها بعد ما ذكر انه لم يغير ما وجد بخط الشيخ من شكل

ولفظ ومن جملة ما وجد بخط من ذكر وجده الطيب بن احمد البوعناني اه ما وجده

بخطه بحروفه واخبرني به عنه صاحب الترجمة فاتصلت لنا روايته بحمد الله تعالى اه

كلام الرحلة وذكر الشيخ التاودي رحمه الله في فهرسته عن سيدي العربي

الفهاسي رحمه الله انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وقد خرج له من

جدار بيته فقرأ عليه دلائل الخيرات بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله الخ فقال

له صلى الله عليه وسلم قل وصلى الله اي باثبات الواو لا باسقاطها اه وذكره ابن

بسنده الامام الحروني في كفاية المريد . وقال المصنف (صلى) بفتح اللام المشددة

فعل ماض دائم فهو انشاء في صورة الخبر . قال بعضهم « ويحتمل ان يقرأ بكسر

اللام على صيغة الامر فيكون طلبا لفظا و معنى واسم الجلالة حينئذ منادى على

اسقاط حرف النداء، قال والاول ابلغ في الطلب من الثاني لان الطلب بصيغة

الخبر آكد واقوى في وقوع المطلوب حتى كانه واقع كغفر الله لفلان فهو ابلغ

من قولك اللهم اغفر لفلان فالتعبير بصيغة الخبر عن الدعاء احسن منه في الامر

على جهة التفاؤل » نص على ذلك البيانيون اه .

وهو مشتق من الصلاة . والصلاة تستعمل اسما وتستعمل بمعنى المصدر الذي هو صدورها ولهذا غاير في الصحاح والقاموس بينها فقالا : الصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم وعبادة فيها ركوع وسجود واسم يوضع موضع المصدر يقال صلى صلاة لا تصلية دعا اه قال الشيخ سيدي المهدي الفاسي اثر كلام القاموس ونقل الشيخ ابو عبد الله الحطاب في شرح مختصر خليل عن بعض المتأخرين انه حذر من استعمال لفظ التصلية بدل الصلاة وقال انه موقع في الكفر لمن تأمله لان التصلية الاحراق ثم نقل عن غيره ايضا ان العرب لم تفه قط بان تقول في الدعاء والصلاة الشرعية او الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (صلى تصلية) وانما يقولون (صلى صلاة) بعد ان نقل عن النساءي وابن المغري انه وقع في كلامهما التعبير بالتصلية ونقل الشهاب افندي الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي عن ثعلب وابن عبد ربه انهم قالوا تصلية وانى على ذلك بشاهد من كلامهم لم يحضرني اه (قلت) ونص المحقق الشهاب افندي في حاشيته على البيضاوي اثر كلام القاموس المذكور ما في « ق » تبع فيه الجوهري وليس بصحيح ثم قال وفي امالي ثعلب امام اللغة انشد لبعض العرب :

تركت القيان وعزف القيان * وادمنت تصلية وابتهالا

وقال في تفسيره يقال صليت صلاة وتصلية اه وهكذا في العقد لابن عبد ربه وانما تركه اهل اللغة لانه من المصادر القياسية وعادتهم تركها اه الخ ثم انهم ذكروا في لفظ الصلاة في اصل اللغة وجوها احدها الدعاء . قال الشاعر

وقابلها الريح في دنها * وصلى على دنها وارتشم (١)

وقال الاعشى :

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * عينا فان لجنب المرء مضطجعا

(١) في نسخة وارتحل .

من قولهم صليت العصى اذا
وثانيها قال الخارزنجي اشتقاقها من الصلى وهي النار من قولهم صليت العصى اذا قومتها بالصلى فالمصلي كأنه يسعى في تعديل باطنه وظاهره مثل من يحاول تقويم الخشبة بعرضها على النار اه من تفسير الرازي . وقال في الفائق ان الصلاة تقويم العود ثم قيل للرحمة صلاة لاشتمالها على تقويم العمل ثم نقلت الى الدعاء مجازا اه وقال الامام السهيلي ان اصل الصلاة الانعطاف والانحناء مأخوذ من الصلوين وهما عرقان في الظهر من جانب الذنب الى الفخذين وقيل عظمان ينحنيان في الركوع والسجود ثم قالوا صلى عليه اي انحنى عليه رحمة وتعطفا ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة اذا ارادوا المبالغة فيها فقولك (صلى الله على محمد) هو ارق وابلغ من قولك (رحم الله محمدا) فالحنو العطف والصلاة اصلها في المحسوسات ثم عبر بهما عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدا كما قال الشاعر :

فما زلت في لبني له وتعطفي ٭ عليه كما تحنو على الولد الام

ومنه صليت على الميت اي دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق كما زعم اهل اللغة انهما بمعنى واحد ولم يفد قوانين حال وحال . ووجه ذلك انه لا يقال صليت على العدو اي دعوت عليه وانما يقال صليت عليه في موضع الحنو والرحمة والعطف لانها في الاصل انعطاف ولذلك عديت في اللفظ بعلى فتقول صليت عليه اذا حنوت عليه ولا تقول في الدعاء الا دعوت له فتعدي الفعل باللام الا ان ترد الشر والدعاء على العدو فتعديه بعلى فهذا فرق بين الصلاة والدعاء واكثر الناس لا يفرقون بينهما فاعلم ذلك اه وفي الكشاف عند تفسير قوله تعالى « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » الخ ان الصلاة عبارة عن الاركان المخصوصة ثم نقلت الى الانعطاف على وجه الترحم كانعطاف عائد المريض عليه والمرأة على ولدها لوجود « فيها ثم منه الى الدعاء فيكون في الدعاء مجاز اه وفيه عند قوله تعالى « يقيمون الصلاة » انها تحريك الصلوين حقيقة سميت بها الاركان المخصوصة لتحركهما فيها ثم سمي بها الدعاء

تشبيها للداعي بالمصلي فهو في الدعاء استعارة على المجاز المرسل اه وقد تعقب السعد ما في الكشاف بقوله ورود الصلاة بمعنى الدعاء في كلام العرب قبل مشروعية الصلاة المشتملة على الركوع والسجود المشتملتين على التخشع وفي كلام من لا يعرف الصلاة بالهيئة المخصوصة دليل المشهور من انها حقيقة لغوية في الدعاء مجاز في العبادة المخصوصة لاشتمالها على الدعاء اه وبالله التوفيق . وقول المصنف (الله) فاعل (صلى) حقيقة لان كل فاعل اطلاق اسم الفاعلية في الحقيقة عليه مجاز الا في جانب الحق جل قدره فهو حقيقي كما هنا . وهذا الاسم كما قال ابن عربي بالفارسية (خداي) وبالرومية (ثيا) وبالارمنية (اصفاج) وبالتركية (تكرى) وبالافرنجية (كرطور) ويقال له ايضا (واق) وبالعبرانية (ادناي) اه وهاهنا اشارة لطيفة قال الامام الغزالي في بعض تآليفه اسم الجلالة (الله) اربعة احرف حاصلها ثلاثة ـ الف . لام . هاء ـ اشارة الى قيام الحق بذاته وانفراده عن مصنوعاته فان الالف تشير الى تأليف الخلق باسباغ النعم والرزق ـ واللام ـ اشارة الى لوم من اعرض عن الحق ـ والهاء ـ اشارة الى هيمان اوليائه في المحبة والعشق .

الف لتأليف الخلائق كلهم ✲ واللام لام اللوم للمطرود
والهاء هو متيم في حبه ✲ متشاغل بالواحد المعبود

ويروى عن الجنيد انه قال دخلت على الحسين بن منصور الحلاج وسألته عن معنى اسمه تعالى (الله) فانشد يقول :

اربع احرف بها هام قلبي ✲ وتلاشت بها هموم لفكري
الف اللف الخلائق بالصنـ ✲ ـع ولام على السلامة تجري
ثم لام زيادة في المعاني ✲ ثم هاء بها اهيم وادري

وقول المصنف على سيدنا هو من ساد قومه من باب كتب وسؤددا ايضا بالضم وسيدودة بالفتح فهو سيد اصله سيود (قلت) الواو ياء وادغمت الياء فيها والجمع سادة وسودد قومه بالتشديد وهو اسود من فلان اي اجل منه . والسيد

قال الامام الجزولي « اعلم انّ السيد معناه الحليم وقيل معناه يطلق بازاء معان » اه وقال الامام النووي في الجليل وقيل معناه الذي يفزع اليه عند النوائب » اه وقال الامام النووي في الاذكار السيد يطلق على المالك وعلى الذي يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم وعلى الحليم الذي لا يستفزه الغضب وعلى الكريم اه وقيل لاعرابي من السيد فيكم قال هو الذي اذا اقبل هباه واذا ادبر اغتباه . وقيل لسيدنا عمر رضي الله عنه من السيد فقال « هو الجواد حين يسأل الحليم حين يستجهل الكريم المجالسة الحسن الخلق لمن جاوره » وقال الصفدي « والذي اقول به انّ السيد عند العرب من ساد قومه او غيرهم بصفاته المحمودة ولا يتوقف في ذلك على اصالة ولا نسب كما يعلم من قول القائل :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

وقال عامر بن الطفيل :

فما سودني عامر عن كلالة * ابا الله ان اسمو بأم ولا اب

ولكنني احمي حماها واتقي * اذاها وارمي من رماها بمعتب

وتحصيل السيادة لمن ارادها يدرك ايضا من قول القائل :

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى * وكونك اياه عليك يسير

ويقابل السيد السيدة كما قال ابو الفضل طاهر بن القصيراني :

اشارت الى جنابه * مخضبة بدم الافئده

وقالت على العهد ياسيدي * فقلت على العهد يا سيده

وقول الناس السيد للمذكر مولد وكذلك قولهم الست للمؤنث ليس من كلام العرب وما ابهى وازهر قول البها زهير :

بنفسي من اسميها بستي * فترمقني النحاة بعين مقت

يرون بانني قد قلت لحنا * وكيف وانني لزهير وقتي

وقد ملكت جهاتي الست حقا (١) * فلا عجب اذا ما قلت ستي

(١) يروى هذا الصدر : « ولكن غادة ملكت جهاتي » اه مصححه.

ثم اعلم انهم اختلفوا في اطلاق السيد على الله وعلى غيره . فقيل لا يجوز الطلاقه على غير الله بدليل ما في المستدرك عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له يا سيد (السيد هو الله) وقيل لا يجوز اطلاقه على الله وهو مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري وعامة العلماء واليه ذهب الامام مالك ففي رواية اشهب كما في العتبية سئل الامام عن الرجل يدعو يا سيدي فكرهه وقال « الاحب الي ان يدعو بما في القرآن وبما دعت به الانبياء عليهم السلام » اه وقال الحطاب ما حكي عن مالك من عدم الجواز في حق الله هو الذي يفهم من المقدمات والذي في رسم الصلاة الثاني من سماع اشهب الكراهة قال فانه كره الدعاء يا سيدي اه وقيل يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره قال الشيخ القاضي ابو بكر يجوز ان يسمى الله تعالى بكل ما يرجع الى ما يجوز في صفته مثل سيد وجميل وجليل وحنان وما اشبه ذلك ما لم يكن ذلك الجائز في صفته مما اجمعت الامة على المنع من تسميته بذلك مثل عاقل وفقيه وسخي وما اشبه ذلك اه وايد بما في المستدرك وصححه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في دعائه « يا سيدنا ويا مولانا » وبقول سيدنا حسان بن ثابت يصف الرب جل جلاله : « يا ذا العلا والسودد » وبقول سيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه « من نصر ربك سيد الارباب » ثم ان قلنا بجواز اطلاقه على غير الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم اولى به من غيره كما قاله الشيخ سيدي احمد زروق . وهل سلوك طريق الامتثال في الصلاة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم بعدم السيادة كقوله صلى الله عليه وسلم حين قالوا له اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » الحديث . وهو الاحوط او سلوك طريق الادب قال الحطاب الذي يظهر لي وافعله الاتيان بالسيادة في الصلاة وغيرها اه وهو الافضل والمعمول به وقد حسنه غير واحد منهم الابي في شرح مسلم قال وما يستعمل يعني في هذا المقام من لفظ المولى والسيد حسن وان لم يرد والمستند ما صح من قوله صلى

الله عليه وسلم « انا سيد ولد آدم » . واتفق ان طالبا يدعى بابن عمرون قال لا يزاد في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لفظ سيدنا لانه لم يرد وانما يقال يقال على محمد. فنقمها عليه الطلبة وبلغ امره للقاضي ابن عبد السلام فارسل وراءه الاعوان فاختفى مدة حتى تشفع فيه حاجب الخليفة فحينئذ خلى سبيله ورأى ان تغيبه تلك المدة هي عقوبته اه وحكي ان بعض الفاسيين تجادل مع بعض علماء وقته هل سلوك طريق الامتثال افضل او الادب افضل فمضى ذلك البعض معتقدا ان عدم السيادة له صلى الله عليه وسلم افضل فارسل اليه الفاسي امة وقال لها ادخلي داره ولا تتأدبي معه وقولي له يا فلان ان سيدي العالم فلان يدعوك فمضت فجاء ذلك العالم مغضبا وقال للفاسي ما اقبح سوء ادب امتك فقال له الفاسي ذلك الافضل فتفطن لما اشار اليه ورجع عن قوله الى موافقته . وحكي ان بعض العارفين كان يقرأ دلائل الخيرات في مقامه صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الامتثال فتشخصت له صورته صلى الله عليه وسلم وقال له « سيد يا ولد سيد يا ولد » فما ترك السيادة من ذلك الوقت . وقال صاحب مفتاح السعادة اياك ان تترك السيادة . وسئل العياشي عن زيادة السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السيادة عبادة اه وسئل الامام السيوطي عن حديث « لا تسيدوني في الصلاة » فاجاب انه لم يرد ذلك قال وانما لم يتلفظ صلى الله عليه وسلم لكراهية ذلك الفخر ولهذا قال « انا سيد ولد آدم ولا فخر » واما نحن فيجب علينا تعظيمه وتوقيره ولهذا نهانا الله تعالى ان ننادية باسمه فقال : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » اه وهذه الكلمة اعني على سيدنا يتنازعها كل من صلى وسلم والضمير المضاف اليه ما قبله يعود على جميع المخلوقات لانه صلى الله عليه وسلم افضل من كل موجود كيف لا ولاجله وجد الوجود

وكيف يصح في الاذهان شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

وقول المصنف محمد بدل من سيد او عطف بيان لا نعت لانه علم والعلم عندهم لا ينعت به وهو منقول من حمد المضعف قيل سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله المحمودة وقيل لكثرة حمد الخلق له . قال في الفتح « المحمد هو الذي حمد مرة بعد اخرى او الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة » قال الاعشى :

اليك ابيت اللعن كان وجيفها ☆ الى الماجد القرم الجواد المحمد

وقال الجلال المحلي « محمد علم منقول من اسم مفعول حمد المضعف سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام من الله تفاولا بانه يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة كما روى في السير انه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه في سابع ولادته لموت ابيه قبلها لما سميت ابنك محمدا (اي ابن ابنك) وليس من اسماء آبائك ولا قومك قال رجوت ان يحمد في السماء والارض وقد حقق الله رجاءه كما سبق في علمه » اه وقال الشيخ البكري « محمد اسم على ذاته صلى الله عليه وسلم قال تعالى « محمد رسول الله » وهو على وزن مفعل مبالغة معنى محمود لتكرار الحمد له المرة بعد المرة وهو اسم مطابق لذاته صلى الله عليه وسلم اذ ذاته محمودة على السنة العوالم من كل الوجوه » اه وفي المعنى قلت :

لم يخلق الله اسما قد تطابق مع ☆ ذات المسمى سوى محمد النبي

وقال ابن القيم « ان محمدا علم وصفة في حقه صلى الله عليه وسلم وان كان علما محضا في حق غيره وهذا شان اسماء الله تعالى اعلام دالة على معان هي اوصاف مدح فلا تضاد فيها العلمية الوصفية . ولما كانت الاسماء قوالب المعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة ان يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب وان لا تكون معها بمنزلة الاجنبي المحض الذي لا تعلق له بها فان حكمة الحكيم تابى ذلك والواقع يشهد بخلافه بل للاسماء تأثير في المسميات وللمسميات تاثير في اسمائها في الحسن والقبح والثقل واللطافة والكثافة كما قيل :

وقلما ابصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فكرت في لقبه

ولم يسم بهذا الاسم الشريف احد قبله صلى الله عليه وسلم لكن لما قرب زمنه صلى الله عليه وسلم ونشر اهل الكتاب نعته وشاع ظهوره للوجود الخارجي ان نبيا يبعث اسمه محمد سمى قليل من العرب اولادهم به رجاء النبوة لهم والله اعلم حيث يجعل رسالاته ومنع الله كلا منهم ان يدعي النبوة او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب يشكك احد في امره وعدتهم اما خمسة او ستة او اربعة عشر او خمسة عشر او سبعة عشر على خلاف في ذلك والذي اقتصر عليه الهيتمي انهم خمسة عشر كما بينه بعض المحققين . قال شيخ الاسلام واما احمد فلم يتسم به احد قبله فيما اعلم . ثم اعلم ان هذا الاسم الشريف اشتمل على اسرار جامعة وفيوض الانوار لامعة . منها انه مشتق من اسم الله كما قال عليه الصلاة والسلام « يا عمر بن الخطاب اتدري من انا انا الذي اشتق الله اسمي من اسمه فالله محمود وانا محمد ولا فخر » واليه يشير سيدنا حسان :

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

ومنها ان هذا الاسم الشريف خلق على صورته بنو آدم اشارة الى ان مسماه هو المقصود من النوع الانساني كما في حديث سيدنا عمر الذي صححه الحاكم من قوله تعالى لآدم « لولا محمد ما خلقتك - وفي آخر - لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا » اه فالميم الاولى بمنزلة الراس والحاء بمثابة اليدين والميم الثانية بمثابة الصدر والدال بمنزلة الرجلين . وفي حديث ابن عباس وابن عمر وابى سعيد الخدري رضي الله عنهم « يا عمر اتدري من انا انا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجاء اسمي فالراس والوجه بمنزلة الميم واليدان اذا مددتهما بمنزلة الحاء والبطن بمنزلة الميم الاخرى والدال بمنزلة الرجلين فهو محمد ولا فخر » اه ولنا في ذلك :

لاسم النبي محمد سر سرى * في الكون حقا ساطع التبيان

فعليه قد خلق ابن آدم صورة * سبحان ربي بارىء الانسان
فالميم راس واليدان لحائه * والميم بطن داله الرجلان

ولبعضهم فيه :

له اسم صور الرحمن ربي * خلائقه عليه كما تراه
له رجل وفوق الرجل بطن * وتحت الراس قد خلقت يداه

قال العارف بالله ابو المواهب التونسي رضي الله عنه في رسالته « قوانين الاشراق . الى كل الصوفية بجميع الآفاق » في القانون الرابع عشر في الولاية الخاصة منها ما نصه :

(فتح طلسم كنز) قال الله تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » ان قلت السجود لغير الله حرام فكيف يجوز هذا السجود . قلنا هذا السجود معناه خضوع تواضع الاصغر للاكبر لا انه سجود المربوب للرب لان آدم عبد لا رب لكنه اكرم في صورة الآدمية بظهور السمة المحمدية فهذا الذي اوجب السجود في هذا المحراب . يا اولي الاذواق والالباب . وذلك ان راس آدم ميم ويداه حاء وبطنه ميم وساقاه دال وكذا كان يكتب في الخط القديم محمد . فان قلت هلا اظهرت اليد الاخرى حتى يقرا يمينا وشمالا . قلنا اذا كتب هكذا محمد كان اعظم في المدح وذلك انه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام انه كان ينظر من خلفه كما ينظر من امامه فيصير يسار الخلف يمينا لذلك الوجه المختص به صلى الله عليه وسلم فلهذا قال بعض العارفين لا يصح ان يقال له يسار بل يقال اليمين الاول واليمين الثاني او يمين وجهه ويمين خلفه وهذا ادب اهل الحقيقة ويؤيد قولنا ما قاله استاذنا العارف بالله المحقق سيدي علي بن وفا رضي الله عنه

قطب النهى غوث العوالم كلها * اعلا علي وهو احمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم اعين هو نورها لما ورد

لو ابصر الشيطان طلعة وجهه * في وجه آدم كان اول من سجد

او لو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل وما عند

لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد

فهو صلى الله عليه وسلم نور جميع الرسل والانبياء. وكل اهل الصلاح من

الاتقياء. ولهذا قال:

عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم اعين هو نورها لما ورد

وذلك انه عليه الصلاة والسلام جمع الله له نور الانبياء. وارشاد الرسل

وهداية الاولياء. ثم خصه بنور الختم.

وهنا (لطيفة) وهي ان اسمه محمد صلى الله عليه وسلم اذا قلت مبر

كان ثلاثة احرف والحاء حرفان ولا تعد الهمزة لانها الالف والميمان المضعفان

كذلك ستة احرف والدال كذلك ثلاثة احرف فاذا عددت حروف اسمه كله

ظاهرها وباطنها حصل لك من العدد ثلاثمائة واربعة عشر. الثلاثة عشر والثلاثمائة

على عدد الرسل الجامعين للنبوة ويبقى واحد من العدد وهو لمقام الولاية المفرق

على جميع الاولياء التابعين للانبياء وله. عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام.

وهنا (دقيقة) وهي كونه لم يبق من العدد المفرق على الاولياء الا الفرد

لان فيهم الافراد الذين اختصوا في التحقيق بالانفراد اولئك الآحاد الواحد منهم

يجعله الحق في كيانه. جامعا لنور زمانه. وهذه الدقيقة الفردانية من الخفية

الجامعة المحمدية و:

ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

انتهى كلام العارف المذكور.

ومنها انه اربعة احرف كلها على مقتضى الجمل الصغير زوج دلالة على

مسماه مركب مخلوق واسم الجلالة اربعة احرف كلها فرد دلالة على ان مس

فرد احد لا شريك له ولا صاحب ولا ولد وتلك اعظم درجة في الخصو

لهذا الاسم الشريف حيث اشار بمضمون فحواه لاولي الالباب الى تبيين مرتبة العبد من المولى جل علاه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله » وفي البردة :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ومنها انه اشتمل بمقتضى الجمل الكبير على ثمان وثمانين نقطة نورانية واربعة نقط ظلمانية وهذه الاربعة هي حظ الشيطان منه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان جبريل عليه السلام جاء اليه صلى الله عليه وسلم فشق صدره وغسل هذا الحظ من قلبه الشريف. قال المادح في همزيته :

شق عن صدره واخرج منه * مضغة عند غسله سوداء

ومنها انه جرد من النقط لان الحروف الثمانية والعشرين عند اهل سر الحروف على قسمين سعيد ونحس فالسعيدة هي المجردة من النقط والثاني نحس اصغر ونحس اكبر ونحس متوسط . فنزه اسمه الشريف عن النحوسة اصلا تبعا للمسمى لانه صلى الله عليه وسلم للناس رحمة كما قال عز من قائل « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وكما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم « انما انا رحمة مهداة » . او تقول النقط تشبه اثر الذباب ولم يقع على ذاته الشريفة فصين عنه الاسم كالمسمى واليه يشير شهاب الدين الخفاجي رحمه الله

لقد ذب الذباب فليس يعلو * رسول الله محمودا محمد
ونقط الحرف يشبهه بشكل * لذلك الاسم منه قد تجرد

ومنها ان مدلول هذا الاسم الشريف هو المعبر عنه بنقطة الابتداء المركب منها عالم الفناء والبقاء . فعن سيدنا جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي أخبرني عن اي شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر « ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله عز وجل ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا

نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله
ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن
الجزء الثاني اللوح ومن الجزء الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء
فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة
ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني
نور قلوبهم وهي المعرفة بالله عز وجل ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد
لا اله الا الله محمد رسول الله » وقال صلى الله عليه وسلم « اول ما خلق الله نوري
ومن نوري خلق كل شيء » وقال صلى الله عليه وسلم « انا يعسوب الارواح
يعني اصلها ورئيسها الكبير ومنه يعسوب النحل لاميرها اهـ وفي حديث سيدنا عمر
« يا عمر اتدري من انا انا الذي خلق الله عز وجل اول كل شيء نوري فسجد
فبقي في سجوده سبعمائة عام فاول كل شيء سجد لله نوري ولا فخر يا عمر اتدري
من انا انا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم
من نوري والشمس والقمر من نوري ونور الابصار من نوري والعقل الذي
رؤوس الخلق من نوري ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر »
ورحم الله ابن زكري حيث قال مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم

انت اصل الوجود فالكون من عر * ش الى الفرش منك ما از كا كا
لولا جاهك لم يكن له كون * ولدام انعدامه لولاكا

قال بعض العارفين رضي الله عنهم لما تجلى الله
تعالى بذاته على ذاته في ذاته لذاته ظهر نور مشكل
بحروف اربعة هكذا :

	ا	
ل	(محمد)	
	ل	

قلت واليه يشير سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله :

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد

ويشير اليه ما في ابن مرزوق قال في احكام الحافظ ابي الحسن بن القطان عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « كنت نورا اي مصورا على شكل خاص من نور بين يدي ربي اي في غاية القرب المعنوي منه قبل خلق آدم باربعة وعشرين الف عام » اه وهذه الدائرة هي المرسومة عند القوم رضي الله عنهم بدائرة الانوار واحاطة المعارف والاسرار . التي تعجز عن ادراكها العقول . ولا يسع الاذواق الراجحة فيها ان تجول . كما قال ابو زيد البسطامي رضي الله عنه غصت لجة المعارف طلبا للوقوف على حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا بيني وبينها الف حجاب لو دنوت من الحجاب الاول لاحترقت كما تحرق الشعرة في لهب النار اه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا يعرفني حقيقة غير ربي » .

الله اكبر ما اجلى جلالته ✲ الله اكبر جل الله مولاه
الله اكبر من يدري حقيقته ✲ ما كان ارفعه قدرا واعلاه

قال الامام الحروبي الطرابلسي حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سر لطيف من اسرار الحق تعالى لا يطلع عليه في هذه الدار سوى الرب جل جلاله ولا يكشفه احد غيره تعالى لا نبي مرسل ولا ملك مقرب اذ حقيقته صلى الله عليه وسلم احمدية من السر المكنون . والامر المصون . الذي انفرد به تعالى وما ادرك منه المؤمنون الا ظاهر صورته المحمدية وهو الذي عبر عنه اويس القرني بالظل اه وقال ايضا رضى الله عنه ما ادرك الناس من حقيقة امره صلى الله عليه وسلم الا على قدر عقولهم البشرية فما ظهر لهم من ذلك فهو نعمة عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا امره وما خفي عليهم من امره فهو رحمة من الله بهم اذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم والله تعالى ارسله رحمة للعالمين فكانت الرحمة فيما ظهر والرحمة في ما استتر اه ثم اعلم انهم اختلفوا في التسمية بهذا الاسم الشريف . فقيل لا تجوز التسمية به في حياته صلى الله عليه وسلم وبعدها صونا له من ان يسمى به

ان بشرط لكن مطلقا التسمية تجوز وقيل . وسلم عليه الله صلى له وتشريفا غيره
بغير ضبطه . وقيل تجوز التسمية به بعده مطلقا وهو الصحيح والمعمول به ككنيته
صلى الله عليه وسلم .

وقد وردت في فضل التسمية بهذا الاسم الشريف والحظ عليها احاديث واخبار . روى ابن وهب في جامعه عن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمدان او ثلاثة » . وروى صاحب الفردوس عن ابي امامة « من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا كان هو ومولوده في الجنة » وعن ابي مليكة عن ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم « من كان ذا بطن اي من كانت زوجته ذات حمل فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله تعالى غلاما وما اسم محمد في بيت الا جعل الله في ذلك البيت بركة » . وقالت جليلة بنت عبد الجليل يارسول الله اني امرأة لا يعيش لي ولد فقال صلى الله عليه وسلم « اجعلي لله عليك ان تسميه محمدا » ففعلت فعاش ولدها وغنم . وعن سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه « ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل مرتين » وعن شريح بن يونس انه قال « ان لله ملائكة سياحين عبادة كل دار فيها احمد و محمد اكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا سميتم محمدا فاكرموه واوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها » وقال صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد ولم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك لهم » وفي كتاب البركة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا كان في البيت من اسمه محمد كثر خيره » وروى ابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا ورزقوا . وفي كتاب البركة عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا يدخل البيت الذي فيه اسمي فقر » وروي عن جعفر بن محمد « اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم »

وفي لفظ آخر « ينادي يوم القيامة يا محمد فيرفع راسه في الموقف كل من اسمه محمد فيقول الله جل جلاله اشهدكم اني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد نبيي. وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى عليه وسلم قال: « يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بم استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة فيقول الله عز وجل عبداي ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد » وفي المدخل عن الحسن البصري رضي الله عنه « ان الله تعالى ليوقف العبد بين يديه اسمه احمد او محمد فيقول عبدي اما استحييت تعصيني واسمك اسم حبيبي محمد قال فينكس العبد راسه حياء من الله تعالى ويقول اللهم اني قد فعلت فيقول الله تعالى يا جبريل خذ بيد عبدي وادخله الجنة فاني استحي ان اعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي » .

(فائدتان) الاولى نقل المناوي عن كعب الاحبار انه قال « اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند المؤمنين محمد وعند الله طه ويس وعند اهل الجنة عبد الكريم وعند اهل النار عبد الجبار وعند اهل العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الانبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند السباع عبد السلام وعند سائر الوحوش عبد الرزاق وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار » زاد الدامغاني في كتابه شوق العروس وانس النفوس . وفي التوراة (موذموذ) وفي الانجيل (طاب طاب) وفي الصحف (عاقب) وفي الزبور (فاروق) اه واما في كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي اللغات فاسماؤه صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصى . منها (حمياطا) بفتح الحاء المهملة وسكون الميم فياء مثناة تحت فالف فطاء مهملة فالف او (حمطايا) بطاء مهملة بعدها الف فياء مثناة تحت فالف . قال الشيخ ابو عمر سألت بعض من اسلم عنه فقال معناه يحمي الحرم من الحرام ويوطىء الحلال . ومنها (بارقليط) و (فارقليط) بالموحدة وبالفاء وفتح الراء

المهملة والقاف وسكون الراء مع فتح القاف وبكسر الراء وسكون القاف معناه روح الحق . وقال ثعلب معناه الذي يفرق بين الحق والباطل . ومنها (احيد) قيل على زنة مضارع (اقام) والمشهور المحفوظ ضبطه على زنة (احمد) وقيل على زنة مضارع (حاد) قال في تهذيب الاسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسمي في القرآن (محمد) وفي الانجيل (احمد) وفي التوراة (احيد) وانما سميت (احيدا) لاني احيد عن امتي نار جهنم » اه ومنها (المشفح) بالفاء من الشفح بمعنى (الحمد) لفظ سرياني . ومنها (المنحمنا) بفتح الميمين معا وهما كلمتان لا كلمة واحدة (فالمن) بفتح الميم واسكان النون كلمة (وحمنا) بفتح الحاء والميم وشد النون كلمة اخرى . ومعنى الكلمة الاولى (النعمة) التي لها نفع ظاهر ونفع باطن فالنفع الظاهر هو ما كان للذات في عالم الاشباح . والنفع الباطن هو ما كان للارواح في عالم الارواح . فهو نعمة سقى منها جميع المخلوقات وجميع العوالم ولا شك انه صلى الله عليه وسلم كذلك . ومعنى الكلمة الثانية وهي كالصفة للاولى ان النعمة السابقة بلغت الى الغاية وارتفعت الى النهاية فكانه يقال النبي صلى الله عليه وسلم هو النعمة التي بلغت الغاية ولم يدركه سابق ولا لاحق وهو لفظ سرياني قاله في الابريز اه الى غير ذلك حتى قال ابن دحية اسماؤه صلى الله عليه وسلم تقرب من الثلاثمائة وانهاها بعض الصوفية الى الف اه

(الفائدة الثانية) ذكر الولي الصالح سيد احمد بن محمد بناصر الدرعي في رحلته ان من اراد ان يقدم لحاجة واراد قضاءها فليكتب على خنصر يده اليمنى محمدا وفي ابهامها (دحطة) بالدال والحاء والطاء المهملات والتاء المثناة فوق ويذهب اليها فانها تقضى بحول الله وقوته اه

وقول المصنف وآله بالجر معطوف على لفظ محمد بلا اعادة الجار . قيل وهو الواجب لحديث « لا تفصلوا بيني وبين آلي بعلى » قالوا هذا مذهب شيعي والحديث مكذوب واصل آل كما قال الكسائي اول من آل يئول اذا رجع

لان الشخص يرجع اليهم ويرجعون اليه . وقال سيبويه اصله اهل قلبت الهاء همزة ثم الهمزة الفا . قيل و يظهر اثر ذلك في التصغير فمن قال اصله اول قال في تصغيره اويل ومن قال اصله اهل قال في تصغيره اهيل وكلاهما مسموع لكن مذهب سيبويه اشهر واكثر . واختلف هل تجوز اضافته للضمير وهو الصحيح ومنه حديث « اللهم صل على محمد وعلى آله » ومنه قول عبد المطلب :

وانصر على آل الصليـ ＊ ـب وعابديه اليوم آلك

ومنه ما هنا وقيل لا تجوز وهو قول ضعيف قيل ولا يضاف الا لمن له شرف من العقلاء الذكور فلا يقال آل الاسكاف ولا آل مكة ولا آل فاطمة . واما قوله تعالى « ادخلوا آل فرعون اشد العذاب » فلشرفه الدنيوي . والحق ان القيود كلها اغلبية لقولهم آل الله وآل البيت وقول عبد المطلب المتقدم : « وانصر على آل الصليب » الخ واتى بالصلاة على الآل في هذه الجملة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « اياكم والصلاة البتراء » قيل ما هي يا رسول الله قال « ان تصلوا علي دون آلي » ولان الصلاة عليهم مما تدل على محبتهم الموجبة للموت على الدين القويم والفوز بالثواب الجزيل والنعيم المقيم . روى ابن مسعود « حب آل محمد صلى الله عليه وسلم خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة » ورحم الله الامام الشافعي حيث يقول

آل النبي ذريعتي ＊ وهم اليه وسيلتي

ارجو بهم اعطى غدى ＊ بيدي اليمين صحيفتي

وفي الكشاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات

على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة . ثم اعلم انهم اختلفوا من المراد بآله صلى الله عليه وسلم في مقام الصلاة فقيل هم آل البيت الواردة في فضلهم الاحاديث والاخبار الواجب تعظيمهم والموجب بغضهم دخول النار وللامام ابن عربي قدس سره

فلا تعدل بأهل البيت خلقا * فأهل البيت هم اهل السيادة
فبغضهم من الانسان خسر * حقيقي وحبهم عبادة

ومعلوم ان الصلاة لا تكون كاملة الا بالصلاة عليهم كما نص عليه الامام الشافعي في قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم المجد انكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

اي كاملة او صحيحة على قول مرجوح لهذا الامام رضي الله عنه والآيات والاخبار الواردة في فضلهم اشهر من ان تذكر ورحم الله القائل :

هم العروة الوثقى لمعتصم بها * مناقبهم جاءت بوحي وانزال
وهم آل بيت المصطفى فودادهم * على الناس مفروض بحكم واسجال

والقائل :

هم القوم من اصفاهم الود مخلصا * تمسك في اخراه بالسبب الاقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا * محاسنهم تجلى وآثارهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى * وطاعتهم ود وودهم تقوى

وقيل آله صلى الله عليه وسلم اتقياء امته لما خرجه الطبراني في الاوسط عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « آل محمد كل

تقي » وفي حديث « انا جد كل تقي » (١) وقيل جميع امة الاجابة وهو الاولى ليشمل كل مؤمن ولو عاصيا ولان الدعاء مهما كان اعم كان الى الاجابة اقرب وقول المصنف وصحبه. اسم جمع لصاحب كركب وراكب على ما هو التحقيق من ان صيغة فعل ليست من اوزان الجموع والصاحب كالصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ببدنه في زمنه صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا ولو لحظة وان كان غير مميز سواء روى عنه شيئا اولا . رأى وجهه الشريف اولا ومات على ذلك . واتى بالصلاة في هذه الجملة عليهم رضي الله عنهم رجاء دخول السرور عليهم بذلك . روى ابو ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من ادخل السرور على اصحابي فقد ادخل السرور علي ومن ادخل السرور علي فقد سر الله ومن سر الله كان حقا على الله ان يسره ويدخله الجنة » ولان الصلاة عليهم رضي الله عنهم مما تدل على محبتهم التي حض عليها سيد العالمين مما هو مشهور عند الاولين والآخرين

هم صحابة خير الخلق ايدهم ✻ رب السماء بتوفيق وايثار
فحبهم واجب يشفى السقيم به ✻ فمن احبهم ينجو من النار

وهم رضي الله عنهم نجوم اقتداء وسبل اهتداء كما قال صلى الله عليه وسلم « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم » (٢) وكلهم رضي الله عنهم ركبوا ذروة ونالوا غاية العرفان من احسن القول فيهم فقد اهتدى . ومن اساء القول فيهم فقد اعتدى . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احسن القول في اصحابي فهو مؤمن ومن اساء القول في اصحابي فهو منافق » فمن احبهم رضي الله عنهم فقد فاز . ومن اساء الظن فيهم فقد ضل وضاز .

من احسن الظن في الله الكريم وفي ✻ رسوله كان مكتوبا من الشرفا
ومن احب اصحاب المصطفى فله ✻ جنات عدن يرى في ظلها غرفا
ومن يكن باغضا فيهم فان له ✻ نار الجحيم وضحى باكيا اسفا

(١) محكوم عليه بالوضع عند نقدة الحديث . (٢) هذا للحفاظ فيه كلام من جهة سنده فليحرر اه مصححه

فهم نجوم اهتدا في كل مظلمة ٭ والله حسبي في ما قلته وكفى

فلهم رضوان الله عليهم الفضل العام والخاص على سائر الخواص قد اصطفاهم الله من الانام وافترض حبهم على الدوام كما قال صلى الله عليه وسلم « ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين فاختار من اصحابي اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا » وقال صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن ابغض واحدا منهم لم يقبل الله له صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا ويحشر من قبره الى النار » فهذا اعتقاد اهل السنة قدس الله سرهم ومن خرج عن هذا فقد ضل عن سواء السبيل . والخارجون عن ذلك اصحاب اهواء وهم اصناف :

فمنهم الخوارج مذهبهم تقديم ابي بكر وعمر ويبرأون من عثمان وعلي ويكفرون بعض الصحابة وقيل لهم خوارج لانهم خرجوا على علي رضي الله عنه وكانوا من اصحابه وقالوا لا حكم الا الله فلما سمع بذلك سيدنا علي رضي الله عنه قال كلمة حق اريد بها باطل وانما مذهبهم ان لا يكون امير ولا بد من امير برا كان او فاجرا . وهم على اربعة اضرب الاباضية والصفرية والبيهسية والازارقة .

ومن اصحاب الاهواء الرافضة وهم قوم رفضوا ابا بكر وعمر ولم يرفضهما احد من اهل الاهواء غيرهم . ومن الطف ما يحكى ما نقله في نفح الطيب ان من فوائد جده قاضي القضاة المقري ما حكاه عن عبد الله بن عبد الحق عن ابن قطرال قال كنت في المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام اذ اقبل رافضي بفحمة في يده فكتب بها على جدار هناك

من كان يعلم ان الله خالقه ٭ فلا يحب ابا بكر ولا عمرا

وانصرف فلقي علي من الفطنة وحسن البداهة ما لم اعهد مثله من نفسي

قبل فجعلت مكان يجب يسب ورجعت الى مجلسي فجاء فوجده كما اصلحته فجعل يلتفت يمينا وشمالا كانه يطلب من صنع ذلك ولم يتهمني فلما اعياه الامر انصرف اه والرافضة قبحهم الله لهم في زعمهم شديد المحبة في علي رضي الله عنه وهم طوائف . منهم السبائية جنحوا في حبهم لسيدنا علي لمذهب النصارى في المسيح وفيهم يقول القائل :

قوم غلوا في علي لا ابا لهم ؛ واجشموا انفسا في حبه تعبا
قولوا هو ابن الاله جل خالقنا ؛ من ان يكون له ابن او يكون ابا

ويفضلون عليا على الانبياء والرسل ويسوون مرتبته بمرتبة النبي صلى الله عليه وسلم قبحهم الله ويقولون لو شاء علي لاحيى عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وهذه الطائفة قد احرقها سيدنا علي بالنار .

ومنهم المنصورية يزعمون ان عليا في السحاب فاذا ظلت عليهم سحابة قالوا السلام عليك يا ابا الحسن .

ومنهم الكيسانية والحسينية والغرابية وانما قيل لهم غرابية لقولهم علي اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الغراب بالغراب .

ومنهم الزيدية وهم اقل الرافضة في الغلو .

ومن اصحاب الاهواء الشيعة وهم قوم دون الروافض يفضلون عليا على عثمان ويتلون ابا بكر وعمر ولا يقبلون من الاحاديث الا ما كان من رواية آل البيت ولا صحيح عندهم الا ما كان على شرطهم فاعلم ذلك . واعلم انه وقع في هذه الجملة الصلاة على غير الانبياء تبعا وهي جائزة . قال اللقاني الصلاة على غير الانبياء والملائكة على سبيل الاستقلال قيل بالمنع وقيل انها خلاف الاولى والتحقيق انها مكروهة كراهة تنزيه لانها من شعار اهل البدع واما بالتبع فجائزة اتفاقا اه واما قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم صل على آل ابي اوفى » فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم . وقول المصنف وسلم تسليما معطوف على وصلى

وحذف متعلقه لدلالة الاول عليه واكد الصلاة دون السلام لدلالة الاواخر على الاوائل وجمع السلام مع الصلاة لان ذلك هو المطلوب وقدمها عليه لانها الافضل والقرآن العظيم مبين لذلك كله قال الله تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبيء يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » واعلم ان افراد الصلاة عن السلام وعكسه مما اضطربت فيه اقاويل العلماء قيل بالجواز مطلقا وقيل بجواز افراد السلام عن الصلاة فقط وقيل بالكراهة . وحيث بلفظ مأخوذ من التسليم هل يؤكد او لا قال الامام ابن عربي عند تفسير قوله تعالى « ويسلموا تسليما » كان عبد السلام يقول في قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » انه يكفي ان يقول الانسان [صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم] وكان غيره يقول لا بد ان يزيد [تسليما] كما في الآية اه باختصار .

(تكملة شريفة) روي عن الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا جلستم مجلسا فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد يوكل الله بكم ملكا يمنعكم من الغيبة حتى لا تغتابوا واذا قمتم فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد فان الناس لا يغتبونكم ويمنعهم الملك من ذلك » اه والله الموفق . ولما كان الحمد قيد النعم ومستوجبا للزيادة ودافعا للنقم صدر به المصنف هذه الدرة فقال : حمدا لمن غمرتنا غوادي ايادية : الحمد مصدر حمد من باب فرح محمدة فهو حميد ومحمود . ومن من الموصولات المشتركة بين المفرد والمثنى والجمع ورابط الصلة هو قرينة التعيين وهي موضوعة لمن يعلم وتطلق على غيره بشروط تطلب من محلها . غمرتنا سترتنا وزنا ومعنى غوادي جمع غادية والمراد بها الواردة والشاردة التي لا تنقطع ايادية جمع كثرة ليد بمعنى النعمة والاحسان على القول الاصح . قال البحر الصفدي في شرحه على لامية العجم الايدي جمع اليد التي هي الجارحة والايادي جمع اليد وهي النعمة هذا هو القول الصحيح وقد اخرجهما عوام العلماء باللغة

عن اصل وضعهما فاستعملوا الايادي في جمع اليد الجارحة ونرى اكثر الناس يكتب الى صاحبه (المملوك يقبل الايادي الكريمة) وهي لحن[1] وانما الصواب الايدي الكريمة اهـ . وقد رد هذا الحبر المحقق المغوسي في شرحه للامية العرب فلينظر ذلك . وتطلق اليد ايضا على القدرة والغلبة والملك والانفاق والاجتماع وغير ذلك . ثم اعلم ان للحمد ثلاث مراتب . الاولى (حمد الحمد) الثانية (حمد المحمود نفسه) الثالثة (حمد غيره له) وما ثم مرتبة رابعة . ثم ان في الحمد بما يحمد الشيء نفسه او يحمده غيره تقسيمين اما ان يحمده بصفة فعل واما ان يحمده بصفة تنزيه وما ثم ثالث هنا واما حمد الحمد له فهو في الحمدين بذاته اذ لو لم يكن لما صح ان يكون لهما حمد

فحمد الحمد يعطي الحمد فيه * ولولا الحمد ما كان الحميد

ثم ان الحمد على المحمود قسمان . القسم الاول : ان يحمد بما هو عليه وهو الحمد الاعم . والقسم الثاني : ان يحمد على ما يكون منه وهو الشكر وهو الاخص فانحصرت اقسام التحميدات والمحامد ونفس الكلمات التي تدل على ما ذكرناه لا تتناهى اهـ قاله ابن عربي . وقال بعض المحققين اعلم ان الحمد على اربعة اقسام . الاول : ثناؤه تعالى بنفسه على نفسه في ازله او ثناؤه ازلا وابدا على ذاته العلية وصفاته السنية بكلامه القديم الذي ليس بحرف ولا صوت كقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » وكقوله تعالى « نعم المولى ونعم النصير » وكقوله تعالى « انا الله لا اله الا انا » هذا من قديم الى قديم ومن الاعلى الى الاعلى . الثاني : ايضا حمده بكلامه القديم لخواص عبيده من رسله وانبيائه وملائكته وسائر الصالحين من عباده كقوله تعالى « نعم العبد انه اواب » اي رجاع الى الله فهذا من قديم الى حادث ومن الاعلى الى الادنى . الثالث : حمد عبيده له جل وعلا بما يخلق في السنتهم وقلوبهم من كلام وعبارات فهذا من حادث الى قديم ومن الادنى الى الاعلى . الرابع : حمد المخلوقين بعضهم لبعض بما يخلق ايضا جل

(١) في القاموس الايادي جمع الجمع وورد من كلامهم العبد يقبل الايادي اهـ معاوية

وعلا في قلوبهم والسنتهم من ذلك . ولا خفاء ان هذه الاربعة في الحقيقة مضافة الى الله تعالى . واما القسمان الاولان فلا اشكال فيهما لانهما راجعان الى صفة كلامه تعالى بذاته تعالى لا مشارك له فيهما ولا مماثل كما ان ذلك حكم ذاته وسائر صفاته . واما القسمان الاخيران فهما مضافان لله تعالى بمعنى انهما ملكه وخلق له لا شريك له تعالى في ملكهما وخلقهما البتة . كما ان ذلك حكم سائر الحوادث لوجوب انفراده عز وجل بالايجاد والاختراع لكل حادث اه ثم ان ههنا ثلاثة الفاظ الحمد والشكر والمدح وبينها فرق . فالمدح هو القول الدال على كونه مختصا بنوع من انواع الفضائل ويحصل للحي وغيره ويكون قبل الاحسان وبعده وقد يكون منهيا عنه كما في قوله صلى الله عليه وسلم « احثوا في وجوه المداحين التراب » والحمد هو القول الدال على كونه مختصا بفضيلة معينة وهي فضيلة الانعام والاحسان ولا يكون الا للحي فلا يقال حمدت اللؤلؤة لصفائها ويكون محمودا مأمورا به كما في قوله صلى الله عليه وسلم « من لم يحمد الناس لم يحمد الله » ولا يكون الا بعد الاحسان لك او لغيرك . والشكر مختص بالانعام الواصل اليك ولا يقع شيء من ذلك الا لاحد امور اربعة . الاول : ان المحمود او المشكور او الممدوح كامل في ذاته وفي صفاته منزه عن جميع النقائص والآفات وان لم يكن منه احسان اليك . الثاني : ان يكون محسنا اليك ومنعما عليك . الثالث : ان تكون ترجو احسانه اليك في المستقبل من الزمان . الرابع : ان تكون خائفا من قهره وقدرته وكمال سطوته فهذه موجبات ذلك ولم يستحق ذلك على الحقيقة الا الله تبارك وتعالى . وذلك هو كما قال الشيخ داوود القيصري الحمد قولي وفعلي وحالي . اما القولي فحمد اللسان وثناؤه عليه بما اثنى به الحق على نفسه على لسان انبيائه عليهم الصلاة والسلام . واما الفعلي فهو الاتيان بالاعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى او توجها الى جنابه الكريم لان الحمد كما يجب على الانسان باللسان كذلك يجب عليه بحسب كل عضو بل على كل

عضو كالشكر عند كل حال من الاحوال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله على كل حال » وذلك لا يمكن الا باستعمال كل عضو فيما خلق لاجله على الوجه المشروع عبادة لله تعالى وانقيادا لامره لا طلبا لحظوظ النفس ومرضاتها. واما الحالي فهو الذي يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالاخلاق الالآهية لان الناس مأمورون بالتخلق باخلاق الله تعالى بلسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفي الحقيقة هذا حمد الحق ايضا نفسه في مقامه التفصيلي المسمى بالظاهر من حيث عدم مغايرتها له . واما حمد ذاته في مقامه الجمعي الالآهي قولا فهو ما نطق به في كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية . وفعلا فهو اظهار كمالاته الجمالية والجلالية ومن غيبته الى شهادته ومن باطنه الى ظاهره ومن علمه الى عينه في مجال صفاته ومجال ولاية اسمائه . وحالا فهو تجلياته في ذاته بالفيض الاقدس الاولي وظهور النور الازلي فهو الحامد والمحمود جمعا وتفصيلا كما قيل

لقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا * اخالك اني ذاكر لك شاكر
فلما اضاء الليل اصبحت شاهدا * بانك مذكور وذكر وذاكر

وكل حامد بالحمد القولي يعرف محموده باسناد صفات الكمال اليه فهو يستلزم التعريف اه ثم ان الحمد والشكر والمدح في الحقيقة على النعم قيد لها ومستوجب الزيادة منها كما قال ابن عطاء الله في حكمه من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه :

من جاوز النعمة بالشكر لم * يخش على النعمة مغتالها
لو شكروا النعمة زادتهم * مقالة الله التي قالها
« لئن شكرتم لازيدنكم » * لكنما كفرهم غالها
والكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر ابقى لها

ومن كلامهم النعمة اذا شكرت قرت . واذا كفرت فرت . وقال بعض

العارفين الشكر صيد للمفقود . وقيد للموجود . فبتذكر النعم تحصل المحبة والمحبة تورث شكر المحبوب والرضى بافعاله والشكر يورث بقاء النعم والزيادة منها اه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه » وكان سيدنا رضي الله عنه يحرض على شكر النعم . قال في جواهر المعاني : وكان رضي الله عنه يذكر الناس بنعمة مولاهم وما خولهم واولاهم يرشد بذلك الى محبة الله سبحانه والحياء منه ان يعصى بسبب ما اسداه لعبيده وما يجريه عليهم دائما وابدا من افضاله واحسانه ويتلو « واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ويكثر الكلام في ذلك جل اوقاته وغالب احيانه ويبين ما هو مستمر على العبد دائما وابدا من نعمة النفع والدفع والمحسوسة والمعنوية يفصل كل ذلك تفصيلا ويأتي عليه بيانا وتحصيلا فيبين ان الايمان بالله ورسله من النعم الباطنة الدائمة المستمرة على العبد وان الله يمده به في كل لحظة ويمسكه سبحانه عليه كل خطرة خطرة ولم يسلط عليه فيه شيطانا مريدا يفسده عليه ولا جبارا عنيدا يسلب عنه ما منه لديه عناية منه سبحانه ورحمة وفضلا ونعمة ولو سلط الشيطان على افساده كما سلطه على افساد الاعمال لكفر كثير من الناس بعد ايمانهم وانقلبوا بعد ربحهم الى خسرانهم ولكن الله امتن على الانسان بحفظه كما امتن بتخصيصه بسابق الفضل والاحسان وبأي سبب استحق العبد هذه النعمة حيث اعطيها يوم قدرت المقادير وقسمت القسم حيث لا وجود لذاته هناك ولا عمل يتقرب به الى معطيها ولا شيء يدلي به وليستند اليه بل هو محض الجود والامتنان والفضل والاحسان ولو شعر الانسان بهذه النعمة العظمى وعرفها لاستغرقه الفرح بالله واستولى عليه سلطان المحبة والشغف بهذا المعطي الكريم والمولى العظيم الذي خلق فهدى وتفضل واعطى وخصص ازلا واجتبى ولا يزال رضي الله عنه في محافله يعد نعم الله على عبده المتصلة والمنفصلة وما ناوله منها في ارضه وسمائه ثم يتلو « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » والناس كلهم غرقى في بحر النعم الا انهم لا يشكرون « وقليل من

عبادي الشكور » واذا اراد الله بعبد خيرا وان يجعله من خواص عباده عرفه ما عليه من النعم والهمه شكرها وجنبه كفرها ولم يزد شيئا على ذلك يكون به مخصوصا [فكل الناس منعم عليه والمخصوص من شاهدها] ويقول الشكر باب الله الاعظم وصراطه الاقوم ولهذا قعد الشيطان بسبيله يصد عنه المؤمنين ثم يذكر شاهدا على ذلك قوله تعالى حكاية قول اللعين « لاقعدن لهم صراطك المستقيم » الآية . ويقول اقرب الابواب الى الله باب الشكر ومن لم يدخل في هذا الزمان لم يدخل لان النفوس قد غلظت يعني فلا تتأثر برياضة ولا بطاعة ولا تنزجر بمحاسبة ولا بمناقشة فاذا استغرقها الفرح بالنعم غابت عن ذلك كله وطوت مسافتها وكل وعد في كلام الله تجده مقرونا بالمشيئة الا الشكر فقال تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم » واكده بلام القسم ونون التوكيد ويقول لنا عند ما يتلو هذه الآية هذه اللام هنا للقسم كانه يستفهمنا فنقول له نعم ويقول انظر كيف قدم الله الشكر على الايمان اعتناء بشأنه فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وربما عبر به عن الايمان وفسره به كما تشير اليه المقارنة في هذه الآية فيقول الايمان هو الفرح بالمنعم فيجعل الفرح الذي هو شكر القلب ايمانا ولا اشكال ان الايمان لا يكون حقيقيا الا معه اذ هو نتيجته ولازمه وقد يكون العطف في الآية للتفسير فيوخذ منها ما قاله رضي الله عنه من ان الايمان هو الشكر ولو عرف الانسان حقيقة الشكر لملىء قلبه وطار عقله محبة في الله وسرورا وفرحا وحبورا اهـ باختصار اي فاذا تحقق العاقل بان النعم التي عليه من الله كما قال تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » فلا بد من ان تحصل له المحبة فيه تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « جبلت القلوب على حب من احسن اليها » فاذا تمكن الانسان في مقام المحبة استحسن كل شيء وقع من المحبوب كما قال صلى الله عليه وسلم « حبك الشيء يعمي ويصم » حتى ان المحب يستوي عنده النعيم والعذاب كما قال ابن عربي قدس سره :

نعيمك او عذابك لي سواء * فحبك لا يحول ولا يزول

فحي في الذي تختار مني * وحبك مثل خلقلك لي جديد

وربما تلذذ بالالم والضرر ان كان من جهة المحبوب ويكون اليه من ام المطلوب كما قال ابو زيد البسطامي :

اريدك لا اريدك للثواب * ولكني اريدك للعقاب

وكل مشاربي قد نلت منها * سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

وانشد صاحب محاسن المجالس :

فهل سمعتم بصب * سليم طرف سقيم

منعم بعذاب * معذب بنعيم

وقد قام صلى الله عليه وسلم في مصلاه حتى تورمت قدماه الشريفتان فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وسلم « افلا اكون عبدا شكورا » وفي الحقيقة ان في طي النقم النعم كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه « ما اصابني الله تعالى بمصيبة الا رأيت لله علي في ذلك ثلاث نعم . الواحدة : حيث لم تكن في ديني . النعمة الثانية : حيث لم تكن اكبر منها . النعمة الثالثة : ما وعد الله من الثواب عليها » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك » وقال تعالى « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ويرحم الله بعض العارفين حيث قال :

سبحان من لو سجدنا بالعيون له * على شفا الشوك والمحمى من الابر

لم نبلغ العشر من معشار نعمته * ولا العشير ولا عشرا من العشر

كيف لا وشكرنا نعمه نعمة منه علينا وقد روي ان نبي الله داود عليه السلام قال « الاهي كيف اشكر وشكري لك نعمة من عندك » فاوحى الله اليه « الآن شكرتني » وفي رواية ابي عمر الشيباني قال موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور « يا رب ان انا صليت فمن قبلك وان انا تصدقت فمن قبلك وان انا بلغت رسالتك فمن قبلك فكيف اشكرك » قال « يا موسى الآن شكرتني » وفي لفظ

« اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت بذلك منك شكرا » ويرحم الله محمود الوراق اذ قال :

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ＊ علي بها في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ＊ وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ＊ وان مس بالضراء يعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة ＊ تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ولقاضي القضاة علي الماوردي :

شكر الاله نعمة ＊ موجبة لشكره
فكيف شكري بره ＊ وشكره من بره

فمن هذه الحيثية كان الشكور من العباد قليلا كما قال عز من قائل « وقليل من عبادي الشكور »

(تنبيه) شكر المنعم واجب شرعا لا عقلا خلافا للشيعة ومن وافقهم وكما ان شكر الله واجب شرعا كذلك شكر الوسائط قال تعالى « ان اشكر لي ولوالديك » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » فان قيل ورد ان مولاتنا عائشة رضي الله عنها اجابت سيدنا ابا بكر الصديق رضي الله عنه حين قال لها اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها والله لا اشكر الا الله . اجيب بانه مذهب صحابي وليس كل مجتهد مصيبا .

(تكميل) اعلم ان الحمد على قسمين مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي لا يدل الا على حمد الذات العلية مجردا نحو الحمد لله والمقيد هو الذي يدل على حمد الذات المقدسة لاجل شيء كالرحيم والخالق والرزاق ونحوها . واختلف الايمة رضي الله عنهم في الافضل والذي عليه امامنا مالك رضي الله عنه ان المقيد افضل من المطلق والمقيد بالاثبات افضل من المقيد بالنفي والدليل عنده على افضليته كثرة وروده في القرآن وكونه يثاب عليه ثواب الواجب لان الغالب

وقوعه في مقابلة نعمة . وفضل الامام الشاذ رضي الله عنه المطلق لصدقه على جميع المحامد اه من البغية عن بعض محققي المالكية في شرحه للرسالة ثم قال المصنف « الصلاة والسلام على مفتاح اقوم سبيل وهاديه » الصلاة اختلف العلماء في مضمونها على اقوال . وحاصل ما عليه المحققون أن ما نعتقده ونقصده من مدلول ذلك فحسبنا معشر المكلفين هو زيادة التعظيم والانعام والتشريف والاكرام له صلى الله عليه وسلم واما بحسب ما عند الله تعالى فلا تكيف ولا تفسر بشيء اصلا . والسلام . ذكروا في معناه ثلاثة اوجه احدها السلامة من النقائص والآفات ثابتة لك ومعك يا محمد ويكون السلام مصدرا بمعنى السلامة . ثانيها السلام مداوم على حفظك ورعايتك يا محمد ومتول قائم به بحيث لا يكل امرك الى غيره طرفة عين ابدا فيكون اسما من اسماء الله تعالى . ثالثها انه بمعنى المسالمة له صلى الله عليه وسلم والانقياد . المفتاح . بكسر الميم اسم آلة تفتح بها الابواب وكل مغلق والجمع مفاتيح ومفاتح . الاقوم . افعل تفضيل مأخوذ من قام الامر اعتدل بمعنى استقام به . السبيل . يذكر ويؤنث ويطلق على الطريق والسبب والوصلة والبلاغ والطاعة والباب والمسلك والعلل والدين والهدى والملة والحجة والعدوان والجمع على التذكير سبل وسبل وعلى التأنيث سبول قاله ابن السكيت الهادي . اسم فاعل من هدى بالدال المهملة اذا ارشد وبين ودعا ويتعدى بنفسه كما هنا ومنه قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » وبالحرف قال تعالى « الحمد لله الذي هدانا لهذا » وقال « واهدنا الى سواء الصراط » ولا تستعمل الهداية والهدى الا في الخير واما قوله تعالى « فاهدوهم الى صراط الجحيم » فوارد على طريق التهكم والهادي هو الذي بالغ في البيان والوضوح او الدال بلطف على ما يوصل الى البغية والمراد به هنا كالمفتاح النبي صلى الله عليه وسلم ولا شك انه صلى الله عليه وسلم هو مفتاح الدين القويم وصراط الله المستقيم كما قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم « وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات » الآية . ولا

يخفى ما في هذه الجملة من التلويح الى صلاة الفاتح لما اغلق والى جوهرة الكمال . ثم اعلم ان هذه الجملة اشتملت على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مما تدل على محبته . ومحبته صلى الله عليه وسلم توجب الكون معه والنجاة من النار . فعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما اختلط حبي بقلب احد فاحبني الا حرم الله جسده على النار » واخرج الامام البخاري ومسلم وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المرء مع من احب » واخرج الطبراني في الكبير والضياء المقدسي عن ابي قرصافة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من احب قوما حشره الله في زمرتهم » وبمحبته صلى الله عليه وسلم يصح الايمان ويكمل كما قال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس اجمعين » وفي حديث سيدنا عمر رضي الله عنه « انت احب الي يا رسول الله من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكون مؤمنا حتى اكون احب اليك من نفسك » فقال سيدنا عمر رضي الله عنه « والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الآن يا عمر تم ايمانك » ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم ايضا اتباع سنته واحياؤها ففي الترمذي مرفوعا عنه صلى الله عليه وسلم « من احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة » وقيل له صلى الله عليه وسلم متى اكون مؤمنا قال « اذا احببت الله » فقيل له ومتى احب الله قال « اذا احببت رسوله » فقيل له ومتى احب رسوله قال « اذا اتبعت طريقته واستعملت سنته » الحديث . ورحم الله القائل

ومن يدعي حب الرسول ولم يكن ☆ بسنته مستمسكا فهو كاذب
علامة صدق المرء في الحب ان يرى ☆ على سنن كانت عليها الحبائب

قال سهل ابن عبد الله في قوله تعالى « واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »

(الظاهرة) هي النبي صلى الله عليه وسلم (والباطنة) هي محبته اه وقال الامام المحاسبي علامة محبة العبد لله تعالى اتباع مرضاة الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابو اسحاق الرقي رضي الله عنه علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم . ويرحم الله ابن ابي المجدر حيث يقول

الا يا محب المصطفى زد صبابة * وضمخ لسان الطيب منك بذكره
ولا تعبأن بالمبطلين فانما * علامة حب الله حب حبيبه

قال الله العظيم على لسان نبيه الكريم « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » الآية . ولا تكمل محبة الله تعالى الا بطاعته وللحكيم محمود الوراق

تعصي الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وبمتابعة سنته صلى الله عليه وسلم ساد من ساد ونال غاية المراد ورحم الله ابن زكري حيث يقول :

ما ترقى الرجال في القرب الا * باتباع الرسول قولا وفعلا
به نالوا المنى وصار الذي قد * كان مستصعبا عليهم سهلا

هذا وقد اختلف في حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فجمهور العلماء على انها فرض مرة في العمر لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحملوا الآية على الوجوب وحملها ابو جعفر الطبري على الندب . قال ابو الفضل عياض ولعله فيما زاد على المرة الواحدة اذ الواجب مرة كالشهادة له بالنبوءة وما عدى ذلك فمندوب وقال القاضي ابو الحسن ابن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة في دهره مع القدرة على ذلك . وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل لذلك وقتا معلوما فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها . وقال القاضي ابو محمد عبد الحق بن عطيه مذهب مالك انها واجبة مرة في العمر وهي سنة مؤكدة في كل

حين لا يسع تركها ولا يتركها الا من لا خير فيه . وقال القاضي ابو عبد الله محمد ابن سعيد مذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة ولا تجب في الصلاة . وقالت الشافعية الفرض منها الذي امر الله به ورسوله في الصلاة . وقال ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وجملة اهل العلم . وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة . وشدد الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة . واوجب بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان . وحكي عن محمد بن المواز انه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي . وفي الحديث « لا صلاة لمن لم يصل علي » قال ابن القصار معناه كاملة او « لمن لم يصل علي مرة في عمره »

ولها مواطن شرعت فيها فمنها التشهد الاخير وهي واجبة فيه على مذهب الشافعي ومن تبعه وسنة او فضيلة على مذهب مالك ومن وافقه . ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب فلا تصح خطبة الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الامام الشافعي والامام احمد . ومنها عقب اجابة المؤذن لما صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تبتغى الا لعبد واحد وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » وفي حديث آخر « من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد وجبت له شفاعتي يوم القيامة » وفي رواية بدل التامة النافعة . ومنها اول الدعاء ووسطه وآخره لقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوني كقدح الراكب اجعلوني في اول الدعاء ووسطه وآخره » وقال

ابو سليمان الداراني من اراد ان يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله حاجته وليختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما . قال في الانوار اللامعات بعد قد وردت احاديث بالترغيب في الصلاة عليه في اول الدعاء وفي خاتمته وانها لا يرد الدعاء من اجلها وكذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اذا دعا احدكم فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم فالصلاة مقبولة والله اكرم من ان يقبل بعض دعائك ويرد بعضه اه قال وسر ذلك والله اعلم ملاحظة واسطته ووساطته وكونه الباب والوسيلة هذا مع المحافظة على ذكره صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عز وجل تحلقا بقوله تعالى « ورفعنا لك ذكرك » وان لا يغفل عن ذكره مع ذكر ربه عز وجل والله اعلم. وقال ابن شافع اذا طلبت من الله شيئا فصل على محمد صلى الله عليه وسلم في اول دعائك وآخره فيكون مثالك كمن دخل بتجارته على الباب بين اميرين يحرسانه فهل يتعرض له احد اه وقال بعض العارفين للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوى وان وافق اجنحته طار وان وافق اسبابه نجح وان وافق اوقاته كل فالاركان حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه من الاسباب. واجنحته الصدق. ومواقيته الاسحار . واسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم لا يصل دعاء لا صلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم . وعن سيدنا علي رضي الله عنه انه قال كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيه . وروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه مثله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء بعد الصلاة علي لا يرد » وعن سيدنا علي رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم « ما من دعاء الا وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله فاذا فعل ذلك انخرق ذلك الحجاب ووصل الدعاء وان لم يفعل ذلك رجع الدعاء » والى هذا يشير ابو حفص عمر بن عثمان بن بزال مع زيادة فائدة بقوله :

ايا من اتى ذنبا وقارف زلة ❊ ومن يرتجي الرحمى من الله والقربا
تعاهد صلاة الله في كل ساعة ❊ على خير مبعوث واكرم من نبا
فيكفيك هما اي هم تخافه ❊ ويكفيك ذنبا جئت اعظم به ذنبا
ومن لم يكن يفعل فان دعاءه ❊ يجد بعد ان يرقى الى ربه حجبا

ومنها عند نسيان الشيء لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله »

ومنها عند طنين الاذن لما رواه ابن السني وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » قال شراح الحديث طنت اي صوتت وقوله « فليذكرني وليصل علي » اي بان يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله « ذكر الله من ذكرني بخير » قال العلماء ان الروح اذا تطهرت من القذر تجول في الملكوت حتى تلتحق بمقام النبي صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى قائلا يا رب امتي امتي حتى ينفخ في الصور فيذكر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الروح المذكورة لله ويساله خيرا له فاذا قدمت الروح بذلك الخير الى جسدها تطن الاذن فطلب من الشخص المذكور ان يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه مكافاة له فظهر ان مصدوق من ذكرني بخير هو النبي صلى الله عليه وسلم وان الشخص الذي طنت اذنه من الاخيار وان هذا الجولان كامن في الروح وان لم يشعر به الشخص فان قلت قد حصلت المكافاة بقوله اولا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وجه زيادة ذكر الله من ذكرني بخير قلت لعل وجهه ان المكافاة تحصل بمجموع الثلاثة اعني ذكر الشخص النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته عليه وطلبه من الله ان يذكره بخير فان قلت ما وجه ابهامه مع تعينه قلت الاشارة الى طلب مكافاة كل من ذكرك بخير بان تطلب له من الله تعلى ان يذكره بخير افاده بعض المحققين اه وفي نوادر الاصول للامام ابي عبد الله الحكيم الترمذي في الاصل الثالث والثمانين والمائتين في طنين الاذن ما نصه : عن

ابي رافع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا طنت اذن احدكم فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ذكر الله من ذكرني » وعن عبد الله بن المغيرة رضي الله عنه انه كان يقال اذا ضرب اذن العبد فان الله يذكره فليذكر الله او فليحسن ذكر الله الى ان قال الحكيم فطنين الاذن من قبل الروح انه لحدة بصره وخفته وطهارته وحياته وسطوعه اي ارتفاعه الى المقام ادرك في وقت سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم بباب الله له شيئا وذكر الله اياه بخير فرجع الى اصله المتمكن في راسه وقلبه بذلك الخير والبشرى فطنت الاذن لصوته وما جاء به من الخير فلذلك قال فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم لانه ذكره عند الله في ذلك الوقت وطلب منه شيئا فاستوجب منه الصلاة ليكون فيه اداء حقه فهذا وما اشبهه مكرمات الموحدين من سيد ولد آدم عليه السلام اه قلت فتبين لك من هذا كله انه لا اصل لقول العامة ان طنين الاذن ينشأ عن هز ورقة الذي طنت اذنه بريح الموت ولا لقول من قال ان ذلك لصوت ذبابة صغيرة تدخل صماخ الاذن ثم تخرج دفعة واحدة ولا لقول بعضهم ان ذلك ريح تخرج من الراس والله الموفق .

ومنها عند الاجتماع والافتراق لما في الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم حسرة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم » وعنه صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير الصلاة علي الا تفرقوا على انتن من ريح الجيفة » وفي دلائل الخيرات عن بعض الصالحين رضوان الله عليهم اجمعين انه قال « ما من مجلس يصلى فيه على محمد صلى الله عليه وسلم الا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذا مجلس صلي فيه على محمد صلى الله عليه وسلم » قال في مطالع المسرات قال الشيخ ابو جعفر بن وداعة رحمه الله روي في الحديث عن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال « ما من موضع يذكر فيه

النبي صلى الله عليه وسلم او يصلى فيه عليه الا نمت منه رائحة تخرق السموات السبع حتى تنتهي الى العرش يجد ريحها كل من خلق الله الا الانس والجن فانهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله الا استغفر لاهل المجلس ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات ويرفع لهم بعددهم درجات سواء كان في المجلس واحد او مائة الف يأخذ من الاجر هذا العدد وما عند الله خير واجزل » ومما يلحق بهذا ما حكاه ابن هشام يعني الاستاذ ابا محمد جابر عن محمد بن سعيد بن مطرف الخياط الرجل الصالح قال كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم اذا آويت الى مضجعي عددا معلوما اصليه على النبي صلى الله عليه وسلم فبينا انا في بعض الليالي قد اكملت العدد فأخذتني عيناي وكنت ساكنا في غرفة فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل علي من باب الغرفة فاضاءت به نورا ثم نهض نحوي وقال « هات هذا الفم الذي يكثر الصلاة علي اقبله » فكنت استحي منه ان اقبله في فيه فاستدرت بوجهي فقبل في خدي فانتبهت فزعا في الحين وانتبهت صاحبتي الى جنبي واذا البيت يفوح مسكا من رائحته صلى الله عليه وسلم وبقيت رائحة المسك في خدي نحو ثمانية ايام تجدها زوجتي في كل يوم وليلة في خدي اه ومما يناسب هذا ما ذكره الشيخ ابو عبد الله الساحلي في بغية السالك « قال حدثني ابي قال حدثني الشيخ ابو القاسم المريد رحمه الله تعالى قال لما قدم الشيخ ابو عمران البراذعي على مالقة وجد بها الشيخ ابا علي يعني المزار فاجتمعنا الثلاثة يوما في داري لطعام صنعته لهما قال ابو القاسم وكان بالحضرة والدي وكانت علة الزكام لا تفارقه حتى انه تحرمه حاسة الشم فقال الشيخ ابو عمران للشيخ ابي علي يا ابا علي لك ثمانية اعوام تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فما اثمرت فيك الصلاة فقال له يا سيدي ازداد عندي كذا وكذا فقال له الشيخ ابو عمران ان هذا الذي ظهر للاولاد ما هكذا يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تنفس في كف والدي الشيخ

ابو علي فهبت من نفسه رائحة المسك لكنها ضعيفة ثم تنفس الشيخ ابو عمران في كف والدي قال ابو القاسم فوالله لقد شقت رائحة المسك خياشيم والدي حتى ارعفته من فورة وسال الدم من انفه و عمت الرائحة منزلي حتى بلغ الجيران ثم قال الشيخ ابو عمران ايظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم انهم فازوا به دوننا فوالله لنزاحمنهم فيه حتى يعلموا انهم خلفوا بعدهم رجالا » اه.

ومنها ليلة الجمعة ويومها فعن سيدنا عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي فادعو لكم واستغفر » وعنه صلى الله عليه وسلم « ان افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض و فيه النفخة و فيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت فقال ان الله عز وجل حرم على الارض اجساد الانبياء » وقال صلى الله عليه وسلم « اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة » ورواه البيهقي من حديث انس بزيادة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة » وروى البيهقي ايضا باسناد حسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ان صلاة امتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم علي صلاة كان اقربهم مني منزلة » فان قلت : ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها . اجاب ابن القيم بان رسول الله صلى عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه مزية ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والآخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به خيري الدنيا والآخرة . واعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم يسعفهم الله بطلبهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى

يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم والليلة اه فان قيل ما الافضل في الصلاة وقوعها ليلا او نهارا وهل لذلك وقت مخصوص وهل بصلاة معينة (الجواب) يعلم من اكثر الاحاديث تسويتها لذكر اليوم وهو يطلق على الليل والنهار وحديث « الليلة الغراء واليوم الازهر » معرب عن ذلك . نعم ذكروا ان الاذكار في الليل تزيد على النهار باضعاف كثيرة . وذكر الامام الرصاع حديثا يقتضي فضيلة الليل على النهار . وليس فيهما وقت معين لطلب الاكثار وهو يشمل كل وقت ولا صلاة مخصوصة كذلك . لكن قد ورد كما في الاحياء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة » فقيل له كيف الصلاة عليك قال « تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة » اه وفي الرصاع في كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد صلاة العصر اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وسلم تسليما اه وقال ابن ثابت وفي رواية اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وسلم تقولها ثمانين مرة اثر صلاة عصر يوم الجمعة اه ومقتضى كلام غير واحد الاطلاق في الكيفية وان الامر فيها واسع وهو المفهوم من قول الامام الساحلي قال :

وبعد صلاة العصر من يوم جمعة * يصلي ثمانون على علم الهدى
ليغفر من اوزار ذاكر احمد * ثمانون عاما هكذا جاء مسندا

بل قد صرح بذلك صاحب القوت ونصه « وقد جاء في الخبر من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله عز وجل له ذنوب ثمانين سنة » قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال « تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة » وكيف ما صلي عليه بعد ان يأتي بلفظ ذكر الصلاة عليه فهي صلاة والصلاة المشهورة هي التي رويت في التشهد اه اي لانها الصلاة التامة . قال العلامة سيدي احمد المستغانمي رحمه الله اختلف بعد

الاجماع على ان العبد كيف ما صلى اجزأه في الصلاة الكاملة فقيل المروية عنه صلى الله عليه وسلم وقيل المقترنة بتعظيمه عليه السلام وقيل التي ذكر فيها الآل فقد نهى عن الصلاة البتراء وهي ان يقال اللهم صل على سيدنا محمد ولا يزاد قال بعض وقد ذكر القاضي عياض في الشفا فيها نحو العشر روايات وكلها متقاربة . وفي مرائي الشيخ سيدي محمد الزواوي انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسأله عن الصلاة الكاملة فقال صلى الله عليه وسلم هي ان تقول « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته » وامره ان يبتدىء بها ورده ولو ثلاث مرات ويختم بها ورده كذلك وهي من بعض روايات القاضي عياض فهي صحيحة والحمد لله اه وفي المرائي ايضا استعجلت مرة في صلاتي عليه صلى الله عليه وسلم لاكمل وردي وكان الفا فقال لي صلى الله عليه وسلم « اما علمت ان العجلة من الشيطان » ثم قال لي قل « اللهم صل على سيدنا محمد بتمهل وترتيل الا اذا ضاق الوقت فما عليك اذا عجلت » وهذا الذي ذكرته لك على وجه الافضل والا فكيفما صليت فهي صلاة والاحسن ان تبتدىء بالصلاة التامة وهي اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد السلام عليك ايها النبيء ورحمة الله وبركاته وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اه .

(فائدة) ان قلت ما موقع التشبيه في قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع منه صلى الله علية وسلم في كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عكسه وهو صلى الله عليه وسلم افضل

من سيدنا ابراهيم بل ومن كل ما خلق الله تعالى وقضية كونه افضل ان تكون الصلاة المطلوبة له افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره . اجاب العلماء قدس الله سرهم عن ذلك بأجوبة كثيرة . منها : انه عليه السلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم وقد اخرج الامام مسلم من حديث انس رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال « ذلك ابراهيم » وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد ان علم انه افضل . ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة . ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح » وهو كقول القائل (احسن الى ولدك كما احسنت الى فلان) ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى « واحسن كما احسن الله اليك » ورجح هذا القرطبي في المفهم . ومنها ان قوله « اللهم صل على محمد » مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله « وعلى آل محمد » . ومنها رفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى « مثل نوره كمشكاة » واين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وآل ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وآل ابراهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله « في العالمين » اي كما اظهرت الصلاة على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في اكثر الاحاديث التي وردت فيه وهذا معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما اشتهر بما اشتهر اه قال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت في بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل

البيت انه حميد مجيد . وقد علم ان محمدا وآل محمد من اهل بيت ابراهيم يعني كما
ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على العالمين » قال ابن عباس محمد من آل ابراهيم قال الحليمي
فكأنه قال اجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد كما اجبتها عند
ما قالوها في آل ابراهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختمت بما ختمت به الآية وهو
قوله « انك حميد مجيد » وقال العارف الرباني ابو محمد المرجاني قدس سره سر
قوله صلى الله عليه وسلم « كما صليت على ابراهيم وكما باركت على ابراهيم » ولم يقل
كما صليت على موسى عليه السلام لان موسى كان التجلي له بالجلال فخر موسى
صعقا والخليل عليه السلام كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة من آثار التجلي
بالجمال فلهذا امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم
وليسألوا له التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات
الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسألوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به
للخليل عليه السلام فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو التجلي
بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال
لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد
منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه السلام بالجمال بحسب
مقامه . فعلى هذا يفهم الحديث اهـ وهو ظاهر .

(استدراك) تقدم ما اجاب به ابن القيم عن وجه اختصاص يوم الجمعة
باكثار الصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الايام وقد وردت
عنه صلى الله عليه وسلم احاديث تقتضي الاكثار في كل وقت وحين مثل قوله
صلى الله عليه وسلم « حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني » وقوله صلى الله
عليه وسلم « ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة » وامر الله بها ليس بمحدود فظهر
ان الامر بالاكثار تعبد . نعم من نظر ظاهر الاحاديث الواردة بطلب الاستكثار

بخصوص يوم ظهرت له علة قاضية بالتخصيص وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم « اكثروا من الصلاة علي يوم السبت فان اليهود تكثر من سبي فمن صلى علي فيه مائة مرة فقد اعتق نفسه من النار وحلت له الشفاعة فيشفع يوم القيامة فيمن احب » فعلة الاكثار في هذا اليوم وجود سبهم عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين. وكذلك يوم الجمعة لعرض صلاتنا عليه فيه ولانتظار الملائكة له وغير ذلك فتدبر.

ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند العطاس لما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « من عطس فقال الحمد لله رب العالمين على كل حال ما كان ما دام من حال وصلى الله على سيدنا محمد واهل بيته اخرج الله من منخره الايسر طائرا اكبر من الذباب واصغر من الجراد يرفرف تحت العرش يقول اللهم اغفر لقائله » اه وكرهه المالكية.

ومنها عند الصباح والمساء لما روى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي ادركته شفاعتي يوم القيامة »

ومنها عند ذكره صلى الله عليه وسلم وسماع اسمه وكتابته. وذكر القاضي عياض في الشفا انها تستحب هنا اه وذهب جمع من الائمة الاعلام الى انها واجبة عند ذكره وكلما ذكر واختاره من كل من المذاهب الاربعة امام. فمن المالكية (اللخمي) ومن الشافعية (الحليمي) ومن الحنفية (الطحاوي) ومن الحنبلية (ابن بطة) رحمهم الله. ويدل لهذا احاديث اخرج الامام النووي في الاذكار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي » قال الترمذي حديث حسن واخرج ايضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من ذكرت عنده فلم يصل علي فقد شقي » وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال « بحسب المرء من البخل ان اذكر عنده ولا يصلي علي » وفي رواية « حسب المرء من البخل ان اذكر عنده ثم لا يصلي علي كلما ذكرت » وفي رواية

« البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله وكل بكم ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال له الملكان غفر الله لك فيقول الله وملائكته آمين ولا اذكر عند احد فلا يصلي علي الا قال له الملكان لا غفر الله لك فيقول الرب تعالى وملائكته آمين »

وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ارتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اول مرقاة من المنبر فقال « آمين » ثم ارتقى الثانية فقال « آمين » ثم ارتقى الثالثة فقال « آمين » فلما قضى صلاته قلنا يا رسول الله سمعناك تقول آمين قال « اتاني جبريل عند اول مرقاة فاحتبسني فقال لي يا محمد رغم انف امريء ذكرت عنده فلم يصل عليك فقل آمين فقلت آمين ولم استطع الا ان اقولها ثم احتبسني عند المرقاة الثانية فقال لي يا محمد رغم انف امريء ادرك ابويه او احدهما فلم يدخل الجنة فقل آمين فقلت آمين ولم استطع الا ان اقولها ثم احتبسني عند المرقاة الثالثة فقال يا محمد رغم انف امريء ادرك رمضان فلم تغفر له فقل آمين فقلت آمين ولم استطع الا ان اقولها » قال العارف بالله سيدي محمد بن عباد النفزي قدس سره قد اورد بعض العلماء هنا سؤالا واحسن في الجواب عنه مقالا ونصه : فان قيل كيف جاز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يؤمن على ابعاد امته عن الله تعالى وهو ارحم اولاد آدم عليه الصلاة والسلام . فالجواب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأف بالمؤمنين وارحم بهم من آبائهم وامهاتهم وبذلك وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز فقال « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » وبلغ من شفقه صلى الله عليه وسلم انه كان ياخذ دمه بيده وثوبه يوم احد حين شجوا وجهه وكسروا رباعيته مخافة ان يقع دمه بالارض فينزل بهم العذاب . وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما نزل عليه « قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم » قال « اعوذ بوجهك الكريم » فلما نزلت « اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذه اهون » فخاف عليهم الاستيصال وهو اذ ذاك يشتم ويوذى و يوضع الفرث على ظهره وهو ساجد بمكة . فيجوز ان يكون قوله صلى الله عليه وسلم « آمين » في المستخف بذكره صلى الله عليه وسلم من المنافقين لانهم في الدرك الاسفل من النار الا ان ظاهر الحديث يعطي العموم وانه عام في الموحدين من امته الذين اتبعوا شهوات انفسهم حتى تشاغلوا بها عن مرضاة خالقهم فانهم ابوا الا ان يتهافتوا في النار بعد ان اراهم الله عز وجل نجاتهم واعطاهم شهر رمضان وغفر لهم ما جنوه طول العام واعذر اليهم في تصفيد الشياطين ومردة الجان وفتح ابواب الجنان واغلاق ابواب النيران عن المطيعين لله في شهر رمضان واعانهم باخوانهم المؤمنين الصائمين القائمين التالين لكتاب الله الذين تركوا الملاهي ورفضوا المناهي واعطاهم ليلة القدر التي هي خير من الف شهر فابوا الا العصيان والتمرد على الرحمن فلم يستوجبوا الغفران وبعث الله فيهم رسولا من انفسهم عزيز عليه عنتهم حريص على هدايتهم بالمؤمنين رءوف رحيم امامهم في الدنيا وامانهم من العذاب وشفيعهم في الآخرة امروا بتوقيره وتعزيزه وتعظيمه والصلاة عليه وان يصلي الله عشرا على من صلى عليه مرة واحدة فاعرض عما دعي اليه ولم يتبع رضوان ربه فلم يستوجب غفران ذنبه وامر الله تعالى بشكر الوالدين وجعل ذلك من شكره على نعمه وجعل برهما سببا لغفران السيئات وعقوقهما من اكبر الكبيرات فاعرض عن ذلك من ادركهما او ادرك الكبر عنده احدهما فلم يرضهما والمئونة في ارضائهما يسيرة والمثوبة كبيرة فلم تجب لهؤلاء مغفرة فجعل تاديبهم النار وتطهيرهم بها اذ لم يتطهروا بما اعطاهم من الطهارات ولا تخففوا من اثقالهم بما بين لهم من الكفارات فأبعدهم من زمرة السابقين في دخولهم جنة رب العالمين وأخر دخولهم اياها الى مدة فأرغم انوفهم وعرف عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم حكمه فيهم : فوافق الحبيب حبيبه ولم يخالف ارادته في تأديبهم وتطهيرهم وازالة اوساخهم فاذا دخل على ربه جنة عدن وحل محل الوسيلة

من قربه شفع لهم وهو المقام المحمود في قوله تعالى « عسى الله ان يبعثك مقاما محمودا » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتي لاهل الكبائر من امتي » وقيل له صلى الله عليه وسلم لمن تشفع فقال « لاصحاب الدماء والعظائم » فكانت دعوته صلى الله عليه وسلم في قوله « آمين » موافقة لله عز وجل ولم تكن قسوة على امته ولم يكن له ان يتأبى على الله الكبير المتعال اه .

ومنها عند الفراغ من الطهارة والوضوء روى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا وضوء لمن لم يصل علي » الى غير ذلك . ويكره الاقدام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع اشار اليها من قال :

ذبيح عطاس مع جماع عثرة * وتعجب او شهرة لمبيع
او حاجة الانسان فاعلم عندها * كرهوا الصلاة على اجل شفيع

وزاد التتاءي فيها قوله تذييلا :

او عند حمام واكل مثله * ومواضع الاقذار للترفيع

على خلاف في بعضها . و زيد ما يفعله العوام في الاعراس ونحوها مثل ما يفعله بعض الطوائف في الاسواق والمواسم وغيرها من اشهار افعالهم بذلك مع زيادة عدم الوقار والاحترام ومثله ما يفعله بعض اهل الحرف والصنائع . وزاد بعضهم الامر بها عند الغضب واستظهر بعضهم فيه الحرمة .

﴿ تحذير ﴾ جرى على لسان العوام لمن في مشاحة وغضب وضجر ان يقال له صل على النبي لاجل ان يرجع عما هو فيه من ذلك ونحوه . فان اجاب بقوله لا صلى الله على من صلى عليه فقيل يطال سجنه ويوجع ضربا و به صدر خليل في مختصره . وقيل يقتل لشمول لفظه الانبياء والملائكة المصلين عليه ونحوهم ولا تقبل توبته فان قاله في غير غضب قتل من غير خلاف . وكذلك من قيل له افعل لي كذا بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فسب والعياذ بالله قتل ولا تقبل توبته ولو اول قوله .

(تنبيه) معلوم ان المكروه هو ما يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يثاب ذاكرها عليها لا محالة . نعم . الاقدام عليها لا نفسها في هذه المواضع مما حذروا منه ولا يفعل المكروه الا المكروه وربما كان ذلك سببا للمقت والعياذ بالله لعدم حسن الادب معه صلى الله عليه وسلم ومع الايمة الذين نصوا على ذلك . فان قيل كيف ينهى عن ذلك مع كون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مطلوبة في كل زمان ومكان ولا سيما ان انضاف الى ذلك ما يوجبها كسماع ذكره صلى الله عليه وسلم فما المخلص من هذه الورطة . فالجواب : ان ذلك مجال اهل الاجتهاد ومطمح نظر الفقهاء وهم ادرى بالاحاديث والآي ولا سبيل لذوي الرأي بعدهم وما لنا الا الاتباع لا الابتداع ومن اقتدى فقد اهتدى ومن قلد عالما لقي الله سالما . ثم اعلم انهم اختلفوا في فائدة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ونفعها هل هو راجع على المصلي عليه فقط وهو قول جماعة او عليهما معا قال بعض المحققين وهذا هو الصحيح لانه صلى الله عليه وسلم كغيره ينتفع بالصلاة عليه لكن لا ينبغي التصريح بذلك الا في مقام التعليم كما اشار لذلك بعضهم بقوله :

وصححوا بأنه ينتفع * بذي الصلاة شأنه مرتفع
لكنه لا ينبغي التصريح * لنا بذا القول وذا صحيح

قال فلا يليق بالمصلي ان يلاحظ ذلك كيف وهو صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى في ايصال الخير له قال وقيل انه صلى الله عليه وسلم قد افرغت عليه الكمالات كلها قبل مفارقته الدنيا . ورد بأنه ما من كمال الا وعند الله اعلى منه فهو صلى الله عليه وسلم يترقى في الكمالات كل لحظة كما يشير لذلك قوله تعالى « وللاخرة خير لك من الاولى » على ما قاله بعض اهل التحقيق من المفسرين من ان المعنى واللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة اهـ قال العارف بالله الفاسي وقد يقال لا خلاف بين كونه ينتفع صلى الله عليه وسلم

وبكونه لا ينتفع بأن احدهما تنبيه على الادب في القصد والآخر على كرم الله وعدم تناهي افضاله اه فمن جملة فوائدها وثمراتها التخلق باخلاق الرب ولا اعظم من التخلق بوصف من اوصافه الجميلة . قال بعض العارفين في تفسير قوله تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » اذا كان ربكم سبحانه يصلي على نبيه فتخلقوا انتم بذلك فصلوا عليه . فان قيل اذا كان الله تعالى قد صلى عليه صلى الله عليه وسلم وهو كذلك فما فائدة طلب الحاصل وايجاد الموجود اجيب بثلاثة اجوبة . الاول : هو مضمون هذه الثمرة الثاني : ان صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم عبادة لنا وزيادة حسنات في اعمالنا وتربي البركات المبثوثة فينا المنزلة علينا . الثالث : انه صلى الله عليه وسلم احب الخلق الى الله على الاطلاق واعز الخلق عنده بالاتفاق ونحن انما نذكره باذكار الله تعالى فكانه في الحقيقة هو الذاكر ومن احب شيئا اكثر من ذكره فلذلك امرنا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مع ما ينضاف الى ذلك من نصوع العقيدة واخلاص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للوساطة الكريمة الذي انقذنا الله تعالى به من الهلكة ونلنا به كل خير وبركة اه

ومنها ما وعد الله في فضلها من جزيل الثواب فعنه صلى الله عليه وسلم انه قال « من صلى علي من امتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات » وعنه صلى الله عليه وسلم « ان جبريل عليه السلام بشرني وقال ان ربك يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكرا » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى علي مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار واسكنه يوم القيامة مع الشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها

عشرا » الخ. قال القاضي ابو بكر بن العربي قدس سره ان قلت قال الله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » فما فائدة هذا الحديث ونحوه قلنا : فيه اعظم فائدة وذلك ان القرآن اقتضى ان من جاء بالحسنة تضاعف عشرا والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حسنة فيقتضي القرآن ان يعطى عشر درجات في الجنة فاخبر الله سبحانه انه يصلي على من صلى على رسوله عشرا وذكر الله العبد اعظم من الجنة مضاعفة وتحقيق ذلك ان الله تعالى لم يجعل جزاء ذكره الا ذكره كذلك جعل جزاء نبيه ذكره لمن ذكره اه قال ابو عبد الله السكاك رحمه الله اعلم ان الصلاة من الله رحمة ومن رحمه الله رحمة واحدة فهو خير له من الدنيا بما فيها فما الظن بعشر درجات كم يدفع الله بها من البلايا والمحن ويستجلب ببركتها من لطائف المنن اه وقال ابن عطاء الله من صلى الله عليه صلاة واحدة كفاه هم الدنيا والآخرة فكيف بمن صلى عليه عشرا اه انشد الحافظ الحسين :

الا ايها الراجي المثوبة والاجرا * وتكفير ذنب سالف اثقل الظهرا
عليك باكثار الصلاة مواظبا * على احمد الهادي شفيع الورى طرا
وافضل خلق الله من نسل آدم * وازكاهم فرعا واشرفهم فخرا
فقد صح ان الله جل جلاله * يصلي على من قالها مرة عشرا

هذا اذا صلى عليه بصلاته عشرا فكيف اذا صلى عليه هو وملائكته بها سبعين صلاة فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى علي صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقلل عبد من ذلك او ليكثر » بل صلاة الله تعالى على عباده في مقابلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لا تحصر بعدد كما قال العارف بالله سيدي علي الخواص رضي الله عنه صلاة الله تعالى علي عباده لا يدخلها العد لانه ليس لصلاته ابتداء ولا انتهاء وانما دخلها العدد من حيث مرتبة العبد المصلي لانه مقيد محصور بالزمان فتنزل الحق تعالى للعبد بحسب شاكلة العبد واعتبر انه تعالى يصلي على عبده بكل مرة عشرا فافهم اه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة

الوداع في خطبته « حجوا حجة الفرض فانها اعظم من عشرين غزاة في سبيـ
الله وان غزاة بعدها اعظم من عشرين حجة وان الصلاة علي يعدل ثوابها الجـ
والجهاد » وروي عن سيدنا علي كرم الله وجهه انه قال قال رسول الله صلى ا
عليه وسلم « من حج حجة الاسلام وغزا بعدها غزاة كتبت غزاته باربعمائة حـ
قال فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج قال فاوحى الله عز وجـ
اليه ما صلى عليك احد الا كتبت صلاته بأربعمائة غزاة كل غزاة بأربعمائة حجة
فلهذا قال البوصيري في داليته :

وتزود التقوى فان لم تستطع * فمن الصلاة على النبي تزود
صلى عليه الله ان صلاة من * صلى عليه ذخيرة لم تنفد

وقال العارف بالله ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه صلاة واحدة على الـ
صلى الله عليه وسلم تستغرق كل هم وشدة في الدنيا والآخرة اه فما ظنك بصلو
قال ابن الفاكهاني في الفجر المنير غاية مطلوب الاولين والآخرين صلاة واحدة مـ
الله تعالى وانى لهم بذلك بل لو قيل للعاقل ايما احب اليك ان تكون اعمال جميـ
الخلائق في صحيفتك او صلاة من الله تعالى عليك لما اختار غير الصلاة من الله تعا
فما ظنك بمن يصلي عليه ربنا سبحانه وتعالى وجميع ملائكته على الدوام والاستمرا
فكيف يحسن بالمؤمن ان لا يكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم او يغفل عـ
ذلك اه فهي حينئذ افضل من كل طاعة على وجه الكمال واجل تجارة تتنافس فـ
تحصيلها فحول الرجال ويرحم الله القائل :

الا قل لمن يبغي الى الفوز منفذا * واضحى بعز مانع متلوذا
وامل ان يسمو لغاية ذروة * ويحظى بقرب بالغ طيب الشذا
وينجو من الاهوال طول حياته * ويرجع مر العيش فيها طبرزذا (١)
نبيك صل كل آن ولمحة * عليه وصير ذكره ابدا غذا

(١) الطبرزذ هو الحلو ولذلك سمي به نوع من التمر لحلاوته اه

فان الصلاة والسلام عليه لم * يعادلهما قرب نعم هي وحبذا
تلذذ بها طول الحياة فيالها * لذاذة طوبى من غدا متلذذا
عليه صلاة الله ما ذر شارق * وما غاب نجم مسرعا ومهربذا
كذا آله والصحب طرا ومن غدا * لهم تابعا او بالالاه تعوذا

قال ابو الليث السمرقندي رحمه الله اذا اردت ان تعرف ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم افضل من سائر العبادات فانظر قوله تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبي » الآية . فأمر الله تعالى عبادة بسائر العبادات وصلى عليه بنفسه اولا وامر الملائكة بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثم امر المؤمنين بأن يصلوا عليه اه ورحم الله القائل :

الله عظم قدر جاه محمد * وأناله فخرا لديه عظيما
في محكم التنزيل قال لخلقه * صلوا عليه وسلموا تسليما

عن ابي عثمان الواعظ انه قال سمعت سهل بن محمد يقول هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله « ان الله وملائكته يصلون على النبي » الآية . اتم واجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة بالسجود له لانه لا يجوز ان يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه ابلغ من تشريف تختص به الملائكة اه

(فائدة) ان قيل هل الافضل صلاة الآدميين على النبي صلى الله عليه وسلم او صلاة الملائكة عليه . اجيب : بأن الافضل صلاة الآدميين بدليل ما قال ابن حجر من ان طاعات البشر اكمل من طاعات الملائكة لان الله كلفهم مع وجود صوارف عنها قائمة بهم وفعل شيء مع مشقة وصوارف ابلغ من فعله مع عدم ذلك اه

(تكميلان) الاول : قال العالم الرباني سيدي عبد الباقي الزرقاني (لطيفة وتحذير) رأى بعضهم بصنعاء رجلا حوله ناس كثير فقال ما هذا قالوا كان يؤما في شهر رمضان وكان حسن الصوت بالقرآن فلما بلغ ان الله وملائكته يصلون على

النبي ابدله بقوله على علي ووصل به بقية الآية فخرس وجذم وعمي واقعد مكانه
التكميل الثاني : قيل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تصلوا
النبي » قال الشيخ ابو الحسن الماوردي في كتابه ادب الدنيا والدين في تأويل
الحديث وجهان (احدهما) انه صلى الله عليه وسلم اراد النهي عن الصلاة في المكان
المرتفع المحدودب مأخوذ من النبوة و (الثاني) انه اراد الطريق ومنه سمي رسل
الله انبياء لانهم الطرق اليه اه وقد تكلم فيه والحاصل انه ان كان من كلام الرسول
صلى الله عليه وسلم فقد علمت ما اولوه به والا فهو تلبيس فضيح وقول شنيع .

(فائدة) روي عنه صلى الله عليه وسلم « اذا قال العبد ان الله وملائكته
يصلون على النبيء يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ناداه ملك يا فلان
لا تسقط لك عند الله حاجة » وعنه صلى الله عليه وسلم « من عسرت عليه حاجته
فليكثر من الصلاة علي فانها تكشف الهموم والكروب وتكثر الارزاق وتقضي
الحوائج » وعنه صلى الله عليه وسلم « من صلى علي كل يوم مائة مرة قضى الله له
مائة حاجة سبعين منها في الآخرة وثلاثين منها في الدنيا » وفي رواية « من صلى
علي صلاة واحدة ليلة الجمعة او يومها قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج
الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وبعث الي ملكا يدخل على قبري فيخبرني باسمه
ونسبه فاكتبه عندي في صحيفة بيضاء » الى غير ذلك من فوائد الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم مما هو مشهور معلوم وفضلها لا يحصر وفي هذا القدر كفاية . و
انهم اختلفوا هل يجوز اهداء ثواب القرب له صلى الله عليه وسلم كالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم وهو مذهب اهل التحقيق وقيل لا يجوز والى محصل
اشار العلامة السجاعي بقوله :

وجائز يقول شخص اجعلا * ثواب ذا للمصطفى من قد علا
ومثله مقدما لحضرته * وزده تشريفا لاعلى رتبته
ومنع بعض لاهداء القرب * لحضرة النبي سيد العرب

قد رده المحققون فاعرفا ، واحمد الكريم ربي وكفى

قلت ومن جملة ما ردوا به المنع ما رواه الامام احمد والترمذي وقال حسن صحيح عن كعب بن عجرة قال قلت يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال « ما شئت » قلت الربع قال « ما شئت وان زدت فهو خير لك » قلت النصف قال « ما شئت وان زدت فهو خير لك » قلت الثلثين قال « ما شئت وان زدت فهو خير لك » قلت يا رسول الله افأجعل صلاتي كلها لك قال « اذن تكفى همك ويغفر ذنبك » وفي رواية « اذن يكفيك الله هم دنياك وآخرتك » وروى صاحب الفجر المنير والامام الرصاع هذا الحديث عن ابي بن كعب وقال في اوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال « يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » قال ابي ابن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك الخ . والثلثين انما ذكرا في رواية ابن الفاكهاني والرصاع . وقد سئل عن هذا الحديث الشيخ العلامة سيدي عبد القادر الفاسي رحمه الله فاجاب بما نصه الجواب والله الموفق للصواب : ان الحديث الكريم يدل على فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وانبساط جاهه العظيم على من انقطع اليه وصدق المحبة فيه . فقوله فكم اجعل لك من صلاتي اي كم اجعل لك من الصلاة عليك من بين اذكاري ودعاءي لنفسي في مهماتي فما زال يدرجه حتى قال اجعل لك صلاتي كلها اي اجعل دعاءي كله صلاة عليك فيكتفي بالصلاة عليه عن دعائه لنفسه فاخبره صلى الله عليه وسلم انه ان التزم ذلك كفاه الله همه وغفر ذنبه اذ هو الوسيلة العظمى والواسطة الكبرى بين يدي الله وبين خلقه قال تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » وقال تعالى « من يطع الرسول فقد اطاع الله » فذكره ذكر الله ومحبته محبة الله ومن اشتغل بذكر الله كفاه الله همه كما جاء « من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن جعل دعاءه كله

صلاة عليه « اذن تكفى همك ويغفر ذنبك » فكيف لا يكفي همه ويغفر ذنبه والله يصلي على عبده بصلاته على نبيه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة عشرا . قال ابن عطاء الله من صلى الله عليه مرة واحدة كفاه هم الدنيا والآخرة فكيف بمن يصلي عليه عشرا . وقال ابن شافع انبسط جاهه صلى الله عليه وسلم حتى بلغ المصلي عليه هذا الامر العظيم والا فمن اين يحصل لك ان يصلي الله عليك فلو عملت في عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على ما عملت في عمرك من جميع الطاعات لانك تصلي على حسب وسعك وهو يصلي على حسب وسعه وانت تصلي على حسب عبوديتك وهو يصلي على حسب ربوبيته هذا اذا كانت صلاة واحدة فكيف اذا صلى عليك عشرا بكل صلاة وبين كريمين منزل واسع انتهى . وحاصل الحديث والله اعلم انه كان يدعو الله لنفسه ويجعل من دعائه نصيبا للنبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء له . ومعلوم ان الدعاء له صلى الله عليه وسلم انما يكون بالصلاة عليه . فكأنه قال اني اكثر الدعاء لك في جملة دعاءي فكم اجعل لك من دعاءي فيما ادعوه هل الربع او الثلث الى ان قال اذن اجعل لك صلاتي كلها اي اشتغل بالصلاة عليك عن جميع مطالبي ودعاءي في مآربي فقال له اذا فعلت ذلك كفاك الله جميع مهماتك ومطالبك فان من كان لله كان الله له ومن انقطع اليه آواه والله سبحانه اعلم اهـ وقال الشيخ المحقق ابن زكري رحمه في كتابه الالمام ما نصه :

(تنبيه) حديث ابي اخرجه ابن ابي شيبة واحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان قال قال رجل يا رسول الله ارأيت ان جعلت صلاتي كلها لك قال « اذن يكفيك الله ما اهمك من دنياك وآخرتك » وفي رواية عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك كم اجعل لك من صلاتي قال « ما شئت » قال قلت الربع قال « ما شئت وان زدت فهو خير » قال قلت النصف قال « ما شئت وان زدت فهو

خير » قال اجعل صلاتي كلها قال « اذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك » اه وذكره في العهود المحمدية عن كعب بن عجرة ثم قال قال الشيخ ابو المواهب الشاذلي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما معنى قول كعب بن عجرة فكم اجعل لك من صلاتي قال « ان تصلي علي وتهدي ثواب ذلك الي لا الى نفسك » وفي عدة المريد لسيدنا الشيخ زروق رضي الله عنه ومن الناس من يجعل اعماله هدية للاولياء ويجعل وردا لجميعهم او للجهة التي يعتقدها وذلك امر مختلف فيه . من يجعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من حسن النية والتقرب لجنابه الكريم صلى الله عليه وسلم وليس الحق في ذلك الا باتباع سنته واكرام قرابته وكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لانه غني عن اعمالنا واني لارى ذلك اساءة ادب لمقابلته بما لا يصلح ان يكون صاحبه مقبولا فكيف الاعتداد بثوابه اه قلت : كلام العهود اقوى واظهر لان لفظ الحديث يدل له اذ لو اريد بيان كم يجعل للصلاة عليه من اوقات عبادته لقال فكم اصرف من اوقات عبادتي في الصلاة عليك ونحوه . ويؤيده رؤيا ابي المواهب المتقدمة وقال الشيخ ابو المواهب التونسي رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة « انت تشفع في مائتي الف » فقلت له بما استوجب ذلك يا رسول الله فقال « باعطائك لي ثواب صلاتك علي » . وحج ابن الموفق حججا وجعل ثوابها له صلى الله عليه وسلم فرآه يقول له « هذه يد لك عندي اكافيك بها يوم القيامة آخذ بيدك فادخلك الجنة بغير حساب » والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هدية له على كل حال كما في الاحاديث وان لم ينو المصلي كون ثوابها له . نعم الاهداء حاصل في الجملة والمقصود من الاهداء للعظماء اجلالهم واعظامهم لانهم محتاجون الى هدية المهدي ولذلك يجزلون المثوبات على ادنى شيء . وايضا فينوي المصلي بذلك تحصين عمله من الرد اي يقوى بذلك رجاءه احتراما بالنبي صلى الله عليه وسلم فان الهدايا للملوك اذا كانت لا تناسب جلالة مقاديرهم ويخشى

ردهم لها ادخلت في جملة هدايا واسطة عظيم عند الملك فتقبل حينئذ من جملة هداياه وهذا كله اذا احتقر العامل نفسه واعتقد قصورة وعدم اهليته لذلك واما اذا رأى عمله شيئا معتدا في نفسه معتدا به فسوء الادب لازم له ويمكن حمل ما لسيدي زروق عليه ، ويمكن ان يريد غير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اما هي فحديث ابي طاهر في خلافه كما سبق والله تعالى اعلم اهـ منه بلفظه . وقد سئل سيدنا رضي الله عنه عن هذه المسألة اعني مسألة اهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم فاجاب رضي الله عنه كما في جواهر المعاني بقوله : اعلم انه صلى الله عليه وسلم غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا وعن صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم وعن اهدائهم ثواب الاعمال له صلى الله عليه وسلم بربه اولا وبما منحه من سوابغ فضله وكمال طوله فهو في ذلك عند ربه صلى الله عليه وسلم في غاية لا يمكن وصول غيره اليها ولا يطلب معها من غيره زيادة او افادة يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وهذا العطاء وان ورد من الحق بهذه الصفة فهي سهلة المأخذ قريبة المحتد فان لها غاية لا تدرك العقول اصغرها فضلا عن الغاية التي هي اكبرها فان الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته ويفيض على مرتبته صلى الله عليه وسلم على قدر حظوته عنده ومكانته وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة ثم يرد على مرتبة لا غاية لها ايضا وعظمته على قدر وسعها ايضا فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته ولذا قال سبحانه وتعالى وكان فضل الله عليك عظيما واقل مراتبه في غناه صلى الله عليه وسلم انه من لدن بعثه الى قيام الساعة كل عامل يعمل لله تعالى فمن دخل في طوق رسالته صلى الله عليه وسلم يكون له مع ثواب عمله بالغا ما بلغ فليس يحتاج مع هذه المرتبة الى اهداء الثواب لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له وهذه اصغر مراتب غناه صلى الله عليه وسلم فكيف بما وراءها من

الفيض الاكبر والفضل الاعظم الاخطر الذي لا تطيق حمله عقول الاقطاب فضلا عمن دونهم . واذا عرفت هذا فاعلم انه ليست له حاجة الى صلاة المصلين عليه ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها صلى الله عليه وسلم وليست له حاجة الى اهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الاعمال . وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب الاعمال متوهما انه يزيده صلى الله عليه وسلم به او يحصل له به نفع الا كمن رمى نقطة في بحر طوله مسيرة عشرة آلاف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك متوهما انه يمد هذا البحر بهذه النقطة ويزيده فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى ان تزيد فيه واذا عرفت رتبة غناه صلى الله عليه وسلم وحظوته عند ربه . فاعلم ان امر الله تعالى العباد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه واصطفائه على جميع الخلق وليخبرهم انه لا يقبل العمل من عامل الا بالتوسل الى الله تعالى به صلى الله عليه وسلم فمن طلب القرب من الله والتوجه اليه دون التوسل به صلى الله عليه وسلم معرضا عن كريم جنابه ومدبرا عن تشريع خطابه كان مستوجبا من الله تعالى غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة الى الله تعالى الا به صلى الله عليه وسلم كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وامتثال امر شرعه فاذا فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه وفيها تعليم لنا بالتوسل به صلى الله عليه وسلم في جميع التوجهات والمطالب لا غير اين هذا من توهم النفع له بها صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى واما اهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم فتعقل ما ذكرناه من الغنى اولا ثم تعقل مثالا آخر يضرب لاهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم بملك عظيم المملكة ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل صنف خزائن لا حد لعددها كل خزانة عرضها وطولها ما بين السماء والارض مملوءة كل خزانة على هذا القدر ياقوتا او ذهبا او فضة او زروعا او غيرها من

المتمولات ثم قدر فقيرا لا يملك مثلا غير خبزتين من دنياه فسمع بالملك واشتد
حبه وتعظيمه في قلبه فأهدى لذلك الملك احدى الخبزتين معظما له ومحبا والملك
متسع الكرم فلا شك ان الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد
له فوجودها عنده وعدمها على حد سـواء ثم ان الملك لاتساع كرمه علم فقر
الفقير وغاية جهده وصـدق حبه وتعظيمه في قلبه وانه ما اهدى له الخبـزة الا
لاجل ذلك ولو قدر على اكثر من ذلك لاهداه له فالملك يظهر الفرح والسرور
لذلك الفقير وبهديته لاجـل تعظيمه له وصـدق حبه لا لاجـل انتفاعه بالخبز
ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لاجل صدق المحبة والتعظيم
لا لاجل النفع بالخبزة وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر اهداء الثواب له صلى
الله عليه وسلم. واما غناه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم ذكره في ضرب المثل
بعظمة البحر المذكور اولا وامداده بنقطة واما اهداؤه له صلى الله عليه وسلم
فقد ذكر المثل له باهداء الخبزة للملك المذكور والسلام اه . وقـول المصنف
(اما بعد) اتى بها تاسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يأتي بها في خطبه
ورسائله وهي يوتى بها للانتقال من اسلوب الى آخـر . وقد اختلف في اول من
تكلم بها فقيل نبي الله داوود على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام قيل لانها فصل
الخطاب الذي اوتيه المشار اليه بقوله تعالى « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » وذلك
لانها تفصل بين المقامات والمقاصد والخطب والمواعظ . واعترض بان داوود عجمي
وهي عربية اللهم الا ان يراد انه اول من نطق بمرادفها لكن ليس المراد هنا
المرادف بل المراد اول من نطق باللفظ نفسه مع ان كثيرا من محققي المفسرين
لم يفسروا فصل الخطاب بها بل هو البينة على المدعي واليمين على من انكر ونحو
ذلك . وقيل اول من تكلم بها يعقوب وقيل ايوب وقيل سليمان على نبينا وعليهم
السلام وقيل قس بن ساعدة الايادي وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان
وقيل سحبان وآيل بالاضافة الذي كان في الجاهلية وقيل سحبان بن وائل الخ

كان في زمن معاوية واعترض بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقولها في خطبه كما ورد في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم « اما بعد ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله » الحديث . وفي رسائله كقوله صلى الله عليه وسلم في كتابه لكسرى كما في الصحيح « اما بعد اسلم تسلم ويؤتك الله اجرك مرتين » الحديث . وسحبان بن وائل بعده اجماعا كما علمت . وأجيب بأن المراد اول من قالها بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحة هذا الجواب تتوقف على انها لم تصدر من اصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بعده ولا من غيرهم والعاقل لم يصور ذلك لما علم من كمال محافظتهم على الاقتداء به في نحو ذلك وقد سود اللهم الا ان يراد بالجواب اول من تكلم بها في الشعر كما في قوله :

لقد علم القوم اليمانون انني ❊ اذا قلت اما بعد اني خطيبها

فيتم ذلك لكن ليس المقصود ذلك بل المراد من نطق بلفظها اولا بمقتضى الوضع ثم قال (فيقول العبد) عبر بالعبد ولم يعبر بالرق ونحوه كالمملوك تلذذا بلفظ العبودية والوصف بها ولذلك لما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا اختار العبودية ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الدرجات العليا ليلة الاسراء اوحى الله اليه « يا محمد بما شرفتك » فقال صلى الله عليه وسلم « رب حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية » فأنزل الله سبحانه وتعالى « سبحان الذي اسرى بعبده » الآية . وذلك من مقامات الامتنان . وخرج عتبة الغلام على رابعة العدوية وهو في قميص جديد يتبختر فيه ويمشي على خلاف عادته فقالت يا عتبة ما هذا العجب الذي لم أر في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن اولى مني بهذا وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا . وفي المناجاة « كفاني عزا ان كنت لي ربا وكفاني فخرا ان كنت لك عبدا » وعن الشيخ سيدي احمد اخ الغزالي ان القارىء قرأ عنده « يا عبادي الذين اسرفوا » الآية . فقال شرفهم بياء الاضافة الى نفسه بقوله « يا عبادي » ثم انشد

وهان علي اللوم في جنب حبها ❊ وقول الاعادي انه لخليع

اسم اذا نوديت باسمي وانني ✻ اذا قيل لي يا عبدها لسميع

وقال بعض العارفين كلما تذكرت انني عبد الله وانه اهلني للايمان والاقرار زاد سمعي . ويرحم الله سيدي القاضي عياض حيث يقول :

ومما زادني شرفا وتيها ✻ وكدت بأخمصي اطأ الثريا

دخولي تحت قولك « يا عبادي » ✻ وان صيرت احمد لي نبيا

وقال القاضي المقري في كتابه الحقائق والرقائق اشرف اسمائك ما اضافك اليه واكرم صفاتك ما دل فيك عليه

لا تدعني الا بيا عبدها ✻ فانه اشرف اسمائي

ولا تصفني بالهوى عندها ✻ فعندها تحقيق انبائي

وقال حفيده سيدي احمد المقري في كتابه نفح الطيب قال العارف بالله سيدي ابو العباس المرسي قدس سره في قول النبي صلى الله عليه وسلم « انا سيد ولد آدم ولا فخر » اي لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لي بالعبودية لله وكان كثيرا ما ينشد

يا عمر ناد عبد زهراء ✻ يعرفه السامع والرائي

لا تدعني الا يا عبدها ✻ فانه اشرف اسمائي

وعن ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه انه قال الناس يفرون من الحساب وانا اتمناه لعله يقول لي يا عبدي فاقول لبيك ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء . وقوله (الفقير) اي دائم الفقر اي الحاجة الى مولاه ان كان صفة مشبهة او كثير الفقر ان كان صيغة مبالغة وانما عبر بالفقير ولم يعبر بالمسكين لان المسكين احسن حالا من الفقير كما قاله الاصمعي لكن قال ابن الاعرابي الفقير هو الذي لا شيء له مثل المسكين . وقال ابن السكيت الفقير هو الذي له بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له اه وعليه قوله تعالى « او مسكينا ذا متربة » وقال يونس الفقير احسن حالا من المسكين عكس ما قال الاصمعي ولما علم هذا زاد قوله (البئيس) كالفقير ومصدرا ايضا من بأس الرجل بالكسر بؤسا وبئيسا اشتدت حاجته فهو بائس . وهو

منه سدده الله اما من باب انكسار النفس واما الاخبار بما هو عليه المخلوق في نفس الامر لقوله تعالى « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله » وقوله (عبد الكريم بن العربي بنيس) ابن هنا يكتب بدون الف على مقتضى الرسم لانه بين علمين الا ان كان في اول سطر . وبنيس بكسر الموحدة وتشديد النون المكسورة نسب المصنف وهي دار مشهورة بفاس بالكرم والعلم والمروءة . واتى بذكر نفسه هنا لامرين الاول : الاقتداء بالسلف والخلف في تسمية انفسهم في اوائل كتبهم لان الفائدة اذا عرف مفيدها عظم في القلوب موقعها . الثاني : التعرض لدعاء من استفاد من كتابه فائدة لان النفوس الكريمة اذا استفادت من مفيد شكرته ودعت له ولو كان ادون منها وفي ذلك يقول القائل :

اذا افادك انسان بفائدة * من العلوم فلازم شكره ابدا
وقل فلان جزاه الله صالحة * افادنيها والغ الكبر والحسدا

ثم ان المصنف هو العالم العلامة . الدراكة الفهامة . حامل رايات الفنون . ومفتاح كنز السر المصون . علم العلوم بين يديه منشور . وبيده لواء المنظوم والمنثور مشهور . اخذ عن قادة جلة فنونا فاستفاد وافاد . ونظم واجاد . فمن نظمه يمدح سيدنا رضي الله عنه قوله :

انور تسامى ام بدا فلق الفجر * ام البشر من وجه الحبيب بلا هجر
وعرف الخزامى قد اتى به الصبا * فهاج غراما طال في رقة الحجر
بلى هذه الانوار من حضرة الوفا * بسر الصفا المكتوم وافتك بالبشر
وذا العطف من حي الحبيب تباشرت * عوالمنا به فارق على الشكر
نعم قد حللنا من حمى الختم ساحة * اتت من جنان الخلد بالحسن والبشر
رياض به الافنان جادتك بالمنى * وانهارها الاحوال من حضرة الذكر
رياض به الزهر العتيق من الثنا * على الله فاقت عن شذا العنبر الشحري
رياض به من كوثر الورد مشرب * وقوت من الذكر الحكيم بلا حصر

رياض بياقوت المديح مزين * جواهره نافت على الانجم الزهر
رياض سقته الوبل من سحب الرضى * سماء به ضمت على دارة البدر
ضريح حوى شمس الظهيرة في الضحى
ضياء هدى من غير حجب ولا ستر
ضريح حوى المكتوم والبرزخ الذي * سما الرتب العليا وافرد بالسر
ونال من المختار رؤيته التي * عليها سخا بالكسب والروح من يدري
ولقنه الورد الشريف بيقظة * مباشرة من غير زيد ولا عمرو
ومن كان من اهل العناية لم تجد * سبيلا لادراك الذي نال بالفكر
فدع عنك ذا النكر البغيض وكربه * اذا جاء يرمي راميا لجج البحر
اعره صمام الاذن وابذه من ورى * الى سقر وامنحه بالبغض والهجر
وبشرى لاهل الود نالوا ولاية * بنص ضمان من يوفيك بالحفر
وبشر اهيل الورد من دام منهم * عليه برفع الشان والمجد والقدر
فما سمعت اذن ولا نال ناظر * ولا خاطر ما خصهم من حلى الفخر
وذلك من اجل المعظم شيخنا المـ * ـفدى ابي العباس ذي الفتح والنصر
الى احمد التاج التجاني ابن سالم * تشد المطايا من قواصي الدرى القفر
وعنه فخذ ان شئت وصلا بلا عنا * وفيه فقل ياتي المديح بلا عسر
ومنه اكتسب في الدين كل فضيلة * وان كنت ذا عسر فلـ تحظ باليسر
فذا الباب مهما تأته متأدبا * منيبا فقل في حالة الضيق والكسر
ابحر الندى نجل الرسول ومن له * جلي كرامات تجل عن الحصر
اتيت حماك الرحب استمطر الرضى * من الله فاشفع لي فانك ذو قدر
امولاي اني في حماك ومن غدا * حليف بني الزهراء تاه على الغير
امولاي قد خيمت بالباب واثقا * بنيل المنى حققت ذلك في سري
امولاي حاشا ان يخيب مشبع * بحبك حبا قر في داخل الصدر

امولاي حقي ان اساجل معشرا * وان طالت الايدي لمدحك في الشعر
امولاي في قلبي غلو وكيف لي * بمدحك يابن الهاشمي او الشكر
وكيف وقد جمعت لي متفرقا * وتلك طريق اغفلت لنوي الذكر
فأسست مبناها وكنت عمادها * واحييت منها ما امبت بلا خبر
فجئت بمثلى من طريق مهذب * على سنن الشرع القويم بلا نكر
فحسبي افتخارا ان تكون وسيلتي * وحسبي فلاحا طاعتي لك في الامر
وحسبي اعتذارا ان جاهك شامخ * واني قصير الباع ابلغ في العذر
فلا زالت الامداد منك سواجما * واولى الورى بالبر من جاء بالفقر
فنهرك عذب لا تكدره الدلى * وكيف ومن بحر الرسول لنا يجري
عليه صلاة الله منه له كما * يليق به قدرا وجاها مدا الدهر
وآل واصحاب ومولى وتابع * وحب وازواج وذي القرب والصهر
وختمي سلام ما شدا ذو صبابة * انور تسامى ام بدا فلق الفجر

(غفر الله) غفر من باب ضرب وغفرانا ومغفرة ايضا اي ستر وغطى . (زلله) مصدر زل يزل بالفتح قاله الفراء واما بالكسر فزليلا . (وتقبل بفضله) اي بزيادة كمال جوده واحسانه ورحمته التي وسعت كل شيء . فالفضل لغة ضد النقص واصطلاحا العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تقول الحكماء ولا عن وجوب كما تقول المعتزلة . (عمله) من باب طرب وانما طلب من الله تعالى غفران الزلل وقبول العمل لان العمل بدون القبول لا ينفع والاعتماد عليه بمجرده من علامات الخذلان والطمع . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « لن يدخل احدا عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضله ورحمته » وجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » بأن العمل لا يكون معتبرا الا ان يكون مقبولا وقبوله لا يكون الا بمحض الفضل . وقدم المصنف طلب غفران الزلل عن قبول العمل لان بمغفرة

الزال يرجى قبول العمل . ومن علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزال كما في الحكم العطائية (هذه) اي الالفاظ الدالة على معان مخصوصة المرقومة في هذه الورقات لان الخطبة تأخرت عنها فهو اشارة الى محسوس او الاشارة الى الالفاظ الذهنية باعتبار دلالتها على المعاني ان قدر تقدمها . (درة) بالدال المهملة اللؤلؤة الكبيرة (تاج) بالمثناة فوق الاكليل (وعجالة) بالضم ضد البطء كالعجالة . (محتاج في بعض مهمات الطريق التجانية) بكسر المثناة فوق وبالجيم المشددة وقد تخفف (ذات الاسرار) جمع سر وهو كل ما خفي من لطائف الفنون عن الغير (الربانية) نسبة الى رب على غير قياس (والمواهب العرفانية تحفة للاصحاب وتذكرة لذوي الالباب) جمع لب وهو العقل الراجح ويجمع ايضا على الب كاشد وربما اظهر التضعيف لضرورة الشعر فيقال الببب كارجل (ليس فيها الا منصوص) في كتب هذه الطريقة (مشهور او عمل للاصحاب) يعني من اخذوا عن سيدنا الشيخ مباشرة (مأثور) اي ينقله خلف عن سلف (مشكور) العمل به (جعلها الله من العمل المبرور والنهج) بوزن الفلس الطريق الواضح (المعرور) عليه ليكثر النفع به فيعظم الثواب (وعمر الجميع) اي كل داخل في هذه الطريقة او محبا في اهلها (بعطفة هذا) القطب الجامع والسيف القاطع والبدر الساطع المنسوبة اليه هذه الطريقة الشريفة وهو (الختم) الاكبر صاحب المقام (المكتوم والبرزخ) الذي جعله الله وارث جده سيد الوجود صلى الله عليه وسلم (المختوم) به مقام الولاية العظمى من طبقات القطبانية المحمدية الذي ما ظهر فيه بما ظهر هو احد سواه لا قبله ولا بعده وهو العارف الرباني . والفرد الصمداني . ينبوع الفضائل والمكارم . سيدنا ومولانا احمد التجاني ابن سيدنا محمد بن المختار بن احمد بن سالم . سقانا الله من كوثره العرفاني . وكأسه الحقاني .

(آمين آمين لا أرضى بواحدة ٭ حتى اضيف لها آلاف آمينا)

ثم ان ههنا جوهرتان يتعلقان بمعنى الختمية والكتمية وصاحب ذلك فأقول وبالله اصول :

الجوهرة الاولى في معنى الختمية وصاحبها

اعلم ايدنا الله واياك بروح القدس . ونور قلوبنا وطهرها من كدرات النفس . ان جميع الاولياء والعارفين قاطبة قدس الله اسرارهم مجمعون على انه لا بد للولاية من خاتم يختم الله به منصبها . وقد تكلم عليه غير واحد من الفحول واضطربت اقوالهم فيه اضطرابا لا تكاد تدرك المقصود منها راجحات العقول . وقد سنح لي ان اذكر بعض كلامهم هنا اجمالا ثم تفصيلا ليزداد الذين يصدقون بكلام القوم قدس سرهم تسليما وايمانا وليعلم الذين يكذبون انهم قد ضلوا عن سواء السبيل وجازوا في الحكم ظلما وعدوانا . قال العارف بالله ابو المواهب التونسي رضي الله عنه في كتابه « رسالة قوانين الاشراق . الى كل الصوفية بجميع الآفاق » ما نصه : خاتم الاولياء هو الذي يختم الله به دائرة الولاية كما ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قرب له ظهور الحركة فعليه منا السلام والرحمة والبركة . فان قيل هذا لم يرد به حديث ولا اثر كما زعم بعض المتفقهة قلنا : كذب فيما اتى به من الانكار بل ان بذلك احاديث وآثار الى ان قال : واما احاديث الخاتم للاولياء فقد روى ذلك الايمة الاعلام كالاستاذ الكبير محمد الترمذي في كتاب فيه ختم الاولياء ولا ينكر حال المهدي الا غير مهدي . ويالله العجب من كثير من المتفقهة الذين يصدقون قول فقيه اذا قال قولة وربما يكون استناده فيها الى دليل قياسي ضعيف او الى شذوذ من القول وينكرون على ما اجمع عليه الاكابر والاولياء من زمن الجنيد الى الآن وما ذلك الا لعلة الحرمان فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ام منه بلفظه . ونقله ايضا العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي في كتابه مفتاح الشفاء بواسطة الشيخ المنجور . وقال العارف بالله سيدي عبد الكريم بن ابراهيم

الجيلي في كتابه الانسان الكامل : اعلم ان مقام العبودية غير مختص بمكانة دون غيرها فقد يرجع الولي من مقام الخلة الى الخلق فيقيمه الله في مقام العبودية وقد يرجع من مقام الحب وقد يرجع من مقام الختام وفائدة هذا الكلام ان العبودية رجوع العبد من المرتبة الالاهية بالله الى الحضرة الخلقية فمقام العبودة له هيمنة على جميع المقامات والفرق بين العبادة والعبودية والعبودة هو ان العبادة صدور اعمال البر من العبد بطلب الجزاء والعبودية صدور اعمال البر من العبد لله تعالى عاريا عن طلب الجزاء بل عملا خالصا لله تعالى والعبودة هي عبارة عن العمل بالله وكذلك كانت الهيمنة لمقام العبودة على جميع المقامات وكذا مقام الختام فانه منسحب على مقامات القربة جميعها لانه عبارة عن ختم مقامات الاولياء وبمجرد بلوغ الولي مقام القربة يجوز جميع المقامات التي يصل اليها المخلوق في الله تعالى لانه يلتحق في مقام القربة بالله تعالى فيختم بوصوله اليها جميع مقامات الخلق ويكون له فيها نصيب من مقام الخلة ونصيب من مقام الحب فيكون هو الختام في نفس مقام القربة وانما اختص اسم الخلة باول مرتبة من مقام القربة لان المقرب هو من تجليات آثار الحق وجوده ثم مقام الحب بعد ذلك لانه عبارة عن المقام المحمدي في المناظر الالاهية ومقام الختام هو اسم لنهاية مقام القربة ولا سبيل الى نهايتها لان الله تعالى لا نهاية له لكن اسم الختام منسحب على جميع مقامات القربة فمن حصل في مقام القربة فهو ختم الاولياء ووارث النبي في مقام الختام لان مقام القربة هو المقام المحمود والوسيلة لذهاب المقرب فيها الى حيث لا يتقدمه فيها احد فيكون هو فيها فردا في تلك المقامات الالاهية وينبغي ان يعتقد ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى ذلك بقوله « ان الوسيلة اعلى مكان في الجنة ولا تكون الا لواحد وارجو ان اكون انا ذلك الرجل » لانه كان له البدء في الوجود فلا بد ان يكون له الختام عليه افضل الصلاة والسلام اه ومن شرح عقائد فيروز الصوفي الاكبر ابادي قدس سره ونقله الراغب في سفينته ما نصه :

﴿ عقيدة في تحقيق معنى الولاية وختمها ﴾

اعلم ان المناصب كالنبوة والرسالة والخلافة والقطبية والغوثية وغيرها كلها ثابتة في الحقيقة المحمدية قد يطلق على روحه صلى الله عليه وسلم اولا الاجمال ثم تفصيلا في طينته العنصرية وقد اتفقوا على ان كل اسم من اسمائه تعالى يقتضي حقيقة في العلم ويسمى ثمة ماهية وعينا ثابتة وفي العين يسمى بالوجود العيني فكل اسم له مظهر وقد اتفقوا على ان محمدا صلى الله عليه وسلم مظهر اسم الله الجامع فيكون جهة الربوبية للعالم كله وله ظاهر وباطن فهو بمقتضى اسم الظاهر يربي ظاهر العالم . وبمقتضى اسم الباطن يربي باطنه فله التربية الكاملة ولذلك قال خصصت بفاتحة الكتاب لانها المصدرة بقوله « الحمد لله رب العالمين » فهو مجمع البحرين وله الخلافة والقطبية والنبوة والرسالة والولاية التامات من الله تعالى وهذه عناية منه تعالى ليكون برزخا بينه وبين الخلائق ولما كان ينبغي ان تدوم هذه العناية وتقع في كل زمان حسبه اظهر من النوري المحمدي صور الانبياء عليهم السلام لتظهر الشرائع في كل عصر حسبه على ما هو مقتضى الحكمة البالغة فالخليفة واحد بالنظر الى جهة وحدة المصور متعدد بالنظر الى صور الكثرة واليه اشار بقوله والمناصب كلها اصالة وبالذات لمحمد صلى الله عليه وسلم وبالفرعية والتبع لغيره من الانبياء والرسل والاولياء وهو نبي وآدم بين الماء والطين لان روحه صلى الله عليه وسلم اول المخلوقات وارواح غيره مخلوقة من روحه كان نبيا من الارواح ونبوة غيره لم تتحقق الا حين بعث فنبوة غيره مظهر من مظاهر نبوته صلى الله عليه وسلم ولما كان حال الولاية كحال النبوة في ان ثبوتها اصالة له صلى الله عليه وسلم وبالتبعية لغيره قال وكذا الولاية وهو صلى الله عليه وسلم ولي وآدم بين الماء والطين وعلى هذا جميع المناصب . ثم لما اشتهر الاشكال فيما بين المشتغلين بمطالعة الفتوحات المكية حيث ذكر ختم الولاية في مقام على عيسى عليه السلام وفي مقام على محمد المهدي رضي الله عنه وفي مقام على نفسه وفي المعنى

الواحد لا يمكن تعدد الختم وما فصل الولاية حتى يتميز الختم ويظهر وجه التعدد . اراد الشيخ المحقق قدس سره رفعه ببيان اصناف الولاية اولا ثم اعطى كلا حقه ثانيا واليه اشار بقوله : ثم اعلم ان الولاية عبارة عن الجهة الباطنية مع الحق تعالى . وهي ان الولاية قسمان قسم هي ولاية وجودية شاملة لجميع الموجودات اذ لكل موجود نسبة مع حضرة الوجود المطلق ففي هذه الولاية ابليس ايضا ولي ولهذا قال الله تعالى « رحمتي » اي الرحمة الوجودية « وسعت كل شيء وانا شيء » واليه اشار بعد قوله تعالى « ولكل وجهة هو موليها » لقوله « فالله ولي الكل والكل ولي الله » وهذه الولاية لا تنقطع ابدا اذ الموجود ابدي ونسبة الوجود لا تنفك عنه . وقسم آخر من الولاية وهو منصب من المناصب اي لها الاختصاص بموجود دون موجود وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وهي اي الولاية المنصبية اربعة انواع : ولاية عامة شاملة لكل من قال خالصا لا اله الا الله محمد رسول الله وهي باطن هذا القول وهو الخلوص الى المعبود الواحد ومتوسلا في فيوضه بمحمد صلى الله عليه وسلم . وولاية ثابتة لذاته صلى الله عليه وسلم من حيث ذاته اي حقيقته المحمدية من جهة القابلية المحضة بحيث ينمحي عن القابلية ايضا ويبقى بحتا ساذجا بحيث لا يسعه فيه تعين من التعينات واليه اشار بقوله « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » وهو صلى الله عليه وسلم من افراد المرسل فتدخل نفسه ايضا تحت عموم ولا نبي مرسل واذا انتفى النفس ما بقى الا البحت . فان قيل : ضمير المتكلم في لا « يسعني » يقتضي بقاءها . اقول : السالبة لا تقتضيه سيما اذا اشتملت على نفي نفسه اذ ثبوتها مع نفيها ممتنع فافهم . وهي باطن الحقيقة المحمدية وهي الاحدية والبحت الساذج كما مر . وولاية هي باطن النبوة من حيث هو نبي اي تبليغ الاحكام الشرعية واظهارها فانه المقصود من البعث المخصوص وصدقه لا يتوقف على ظاهر النبوة ولهذا صح ختمه على المهدي رضي الله عنه كما يأتي .

وولاية هي باطن الرسالة من حيث هو رسول فختم منصب من هذه المناصب عبارة عن كمال ظهوره في شخص بحيث لم يظهر بعده اصلا قال في ما قال عنه بتلك المثابة (فللنفي فردان احدهما : ان لا يظهر بعده اصلا كما في ختم النبوة والرسالة على نبينا صلى الله عليه وسلم . وثانيهما : ان يظهر لكن بذلك الظهور كما في الولاية الذاتية فانها وان ظهرت لكنها ليست كمال الظهور كما في الشيخ محي الدين العربي قدس سره حيث فشت كلمة الوحدة الوجودية منه بلا قبض في البيان لكن نفس ظهورها دائم في الاولياء المتوسلين بقطب العالم ولا يلزم من هذا تفضيله على من عداه بل ربما يكون عدم افشائها في الاولياء الكاملين بسبب غلبة نسبة الولاية النبوية على الذاتية بحيث تنطمس تحت شمسها وهذا عين الموافقة وكمال القرب مع حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وكل ميسر لما خلق له) وبين احد من الاولياء كما اشار اليه بقوله : ولما كانت هذه المناصب كلها في نبينا صلى الله عليه وسلم منطمسة تحت شمس النبوة لم يظهر حكمها على الوجه المذكور وكانت النبوة والرسالة قد ختمت عليه صلى الله عليه وسلم وبقي من المناصب ما بقي واراد الله ان يحظى امته عليه السلام بحظ الختمية فيما بقي من المناصب فأول منصب ختم وهو على علي كرم الله وجهه هي الخلافة كما ظهرت اولا في آدم عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى « اني جاعل في الارض خليفة » ولما كان ان يقال اي نكتة في تقديم ختم الخلافة على ختم المناصب الباقية قال : لان الخلافة معنى الرسالة كما نص الله تعالى لداوود عليه الصلاة والسلام بقوله « انا جعلناك خليفة » اي رسولا فينبغي ان يكون ختمها تلو ختم الرسالة . ومنصب الامامة ختم على اولاده رضي الله تعالى عنه بمعنى ان كمال ظهور الامامة تحقق في اولاده بحيث لا يظهر مثله في غيرهم وهذا لا ينفي عن غيرهم . ثم ختم الولاية الذاتية اي كمال افشاء الوحدة الوجودية على الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله . ثم يختم ولاية النبوة على المهدي (اللهم قرب زمانه ان تم الاقتضاء له) ثم يختم ولاية الرسالة على عيسى عليه السلام . ثم

يختم الولاية على خاتم الاولاد ويكون مولده بالصين ويسري العقم في الرجال والنساء فاذا قبضه الله ومؤمني زمانه بقي من بقي مثل البهائم لا يحلون حلالا ولا يحرمون حراما يتصرفون بحكم الطبيعة شهوة مجردة عن العقل والشرع فعليهم تقوم الساعة وباقي المناصب التي لم يختمها فعلى من يشاء من عباده والله اعلم بالمناصب التي يختم بها وبمواضيع الختم وقوابله اه منها بلفظها الى غير ذلك من كلام العارفين قدس سرهم مما يؤدي الى التطويل . وحاصل ما عندهم ان الختمية في عباراتهم لها اطلاقات فتارة يطلقونها ويقصدون بها خاتم وجود الولادة بمعنى انه هو آخر مولود يوجد بحيث يسري بعده العقم في الرجال والنساء، وهذا المقام مخصوص بواحد قلبه على قلب سيدنا شيث عليه السلام . قال الامام ابن عربي في الفصوص ما نصه : وعلى قدم شيث عليه السلام يكون آخر مولود يولد في النوع الانساني وهو حامل اسراره وليس بعده ولد في هذا النوع فهو خاتم الاولاد وتولد معه اخت له فتخرج قبله ويخرج بعدها ويكون رأسه رجليها ويكون مولده بالصين ولغته لغة بلده ويسري العقم في الرجال والنساء فيكثر النكاح من غير ولادة ويدعوهم الى الله فلا يجاب فاذا قبضه الله وقبض مؤمني زمانه بقي من بقي مثل البهائم لا يحلون حلالا ولا يحرمون حراما يتصرفون بحكم الطبيعة شهوة مجردة عن العقل والشرع فعليهم تقوم الساعة اه قال شارحه العارف بالله سيدي احمد بن احمد بن رميح الزبيدي ما نصه : اعلم ان مراد الشيخ رضي الله عنه بخاتم الاولاد خاتم الولاية فان خاتم الولاية المقيدة عند الشيخ هو الشيخ نفسه وخاتم الولاية المطلقة هو عيسى عليه السلام كما اومأ الى الاول وصرح بالثاني في مواضع متعددة من كلامه ولا يخفى ان هذه القصة لا تنطبق على حال واحد منهما ومن حمله على خاتم الولاية المطلقة فكأن منشأ حمله انه لما كان خاتم الاولاد حاملا لاسرار شيث عليه السلام لا بد ان يكون من الاولياء واذا كان من الاولياء ولم يولد بعده ولد آخر يلزم ان يكون خاتم الاولياء وليس الامر كذلك فانه يمكن ان يكون تحققه بالولاية قبل

نزول عيسى عليه السلام او ظهوره بالولاية ويكون نزول عيسى عليه السلام في زمانه او زمان من بقي من مؤمني زمانه بعده ولا يتحقق احد بعده بالولاية فيكون خاتما للولاية اه وتارة يطلقونها ويقصدون بها خاتم الخلافة العظمى وهذا لواحد تدمه على قدم آدم عليه السلام وهو سيدنا ومولانا علي كرم الله وجهه . وتارة يقصدون بها خاتم الامامة وهذا على اولاده رضي الله عنهم كما تقدم من ان كمال ظهور الامامة تحقق في اولاد سيدنا علي بحيث لا يظهر مثله في غيرهم . وتارة يقصدون بها المقام الذي ما فوقه الا درجة النبوة وهو اعلى مقام في درجة القطبانية الباطنة الخاصة وهذا لا يلحقه الا افذاذ من الاقطاب المحمديين بحكم الارث من النبي صلى الله عليه وسلم وهو لواحد في كل زمان كالمجدد الذي يأتي على رأس كل مائة سنة وهذا المقام ليس مخصوصا بمعين واليهم يشير القطب الشهير ابو العباس السبتي رضي الله عنه بقوله :

فهم امناء الله في خلقه وهم ٭ نجوم بدت للناس في ليلة ظلمة
اذا غاب نجم لاح نجم وهكذا ٭ الى آخر الازمان عقد الاحبة

وقد ادعى هذه الختمية غير واحد كسيدي علي بن وفا نسبها لوالده سيدي محمد وفهمها غير واحد على خلاف هذا المقصد ولذلك قال العارف بالله الشعراني في طبقاته . قلت : ادعى هذه الختمية يعني ما نسبه سيدي علي بن وفا لوالده جماعة من الصديقين في الاحوال والذي يظهر ان لكل زمان ختما اه وفي خلاصة الاثر في ترجمة الامام القشاشي ما نصه : ووصل يعني صاحب الترجمة الى مقام الختمية في عصره فقد قال فيما وجد بخطه على هامش رسالة العارف بالله سالم بن احمد شيخان باعلوي المسماة (بشق الجيب في معرفة رجال الغيب) عند قوله والختم وهو واحد في كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة وهو الشيخ الاكبر اه ما نصه الذي يتحقق وجدانه ان الختمية مرتبة الاهية يتنزل بها كل احد لها حسب وقته وزمانه غير منقطعة ابد الآباد الى ان لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله لعدم حكم

المراتب الالاهية عن القائمين بها حق بصير القائم كالصفر الحافظ لمرتبة العدد فيما قبله و مددا بانفاسه تتم الصالحات وتقضى الحاجات وقد تحققنا بذلك حقا . ونـزلناه منازله صدقا . وممن رأيته من مشائخي من اهل الختمية المذكورة سندا متصلا منهم الينا من غير انقطاع باذن الله تعالى خمسة انفس سادسهم كلبهم لا رجما بالغيب ورني ثم قال بعدها قوله عبد الجميع احمد بن محمد المدني ومثله لا يتكلم بهذا الكلام الا عن اذن الاهي ونفث روعي اه وقد حلاه بالختمية ايضا في الرحلة العياشية . وشرط صاحب هذا المقام بتقريب انه لو قدر محو الشرائع كلها لاحي رسومها من حفظه من غير مطالعة ويعرف اسم كل واحد بعينه من جميع الحيوان والنبات والمعدن وغير ذلك ولذلك قال سيدي علي بن وفا رضي الله عنه اكمل المظاهر في كل زمان هو الذي يظهر بكشفه وبيانه لاهل زمانه ما لم يكونوا يحتسبون وهو غيث الله الذي لا يظهر عليه الا من ارتضى اه وكل واحد ممن وصل الى هذا المقام له فيه تجل مخصوص بقدر ترقيه بما حواه فهم وان اشتركوا في ادراك هذا المقام والوصول اليه فهم متفاوتون فيه والله الموفق . وتارة يقصدون بها ختم مقام الولاية العامة القاهرة التي هي لذوي الامر والتصريف الظاهر وهذا المقام يختم على واحد خاصة وهو الامام العدل سيدنا المهدي الموسوم بالمنتظر . وتارة يقصدون بها ختم مقام الولاية المحمدية العامة وهذا مخصوص بواحد ايضا وهو من اكرم العرب اصلا وفرعا وليس من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذي تلاقى مع الامام ابن عربي قدس الله سره بمدينة فاس ودعا له . قال في الفتوحات المكية عند التعرض للجواب على اسئلة الامام العارف بالله الحكيم الترمذي ما نصه : السؤال الثالث عشر من الذي استحق ان يكون خاتم الاولياء كما يستحق محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوءة . قلنا : الختم ختمان ختم يختم الله به الولاية المطلقة وختم يختم الله به الولاية المحمدية . فاما ختم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام وهو الولي بالنبوءة المطلقة في زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع

والرسالة في آخر الزمان فينزل وارثا خاتما لا ولي بعده كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده وان كان بعده مثل عيسى من اولي العزم من الرسل وخواص الانبياء ولكنه زال حكمه من هذا المقام لحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فينزل وليا ذا نبوة مطلقة تشركه فيها الاولياء المحمديون فهو منا وهو سيدنا فكان اول هذا الامر وهو آدم وآخره نبي وهو عيسى اعني نبوة الاختصاص فيكون له يوم القيامة حشران حشر معنا وحشر مع الرسل. واما ختم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب من اكرمها اصلا وبدءا وهو في زماننا اليوم عرفت به في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي قد اخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه وهي خاتم النبوة المطلقة لا يعلمها كثير من الناس وقد ابتلاه الله بأهل الانكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم وكما ان الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الارث المحمدي لا التي تحصل من سائر الانبياء فان من الاولياء من يرث ابراهيم وموسى وعيسى فهم يوجدون بعد هذا الختم المحمدي وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم هذا معنى خاتم الولاية المحمدية واما ختم الولاية العامة الذي لا يوجد بعده ولي فهو عيسى عليه السلام ولقينا جماعة ممن هم على قلب عيسى عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام وقد جمعت بين صاحبي عبد الله واسماعيل بن سودكين وبين هذا الختم ودعا لهما وانتفعا به والحمد لله اهـ وقال اثناء الجواب عن السؤال الخامس عشر ولما كانت احكام محمد صلى الله عليه وسلم عند الله تخالف احكام سائر الانبياء والرسل في البعث العام وتحليل الغنائم وطهارة الارض واتخاذها مسجدا واتي جوامع الكلم ونصر بالمعنى وهو الرعب واتي مفاتيح خزائن الارض وختمت به النبوة عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي فانزل في الدنيا من مقام اختصاصه واستحق ان

يكون لولايته الخاصة ختم يواطيء اسمه اسمه صلى الله عليه وسلم ويحوز خلقه وما هو بالمهدي المعروف المسمى المنتظر فان ذلك من سلالته وعترته والختم ليس من سلالته الحسية ولكنه من سلالة اعراقه واخلاقه صلى الله عليه وسلم الخ كلام قائله . وتارة يقصدون بها ختم الولاية المحمدية الباطنة الخاصة وهذا من قبيل الاطلاق الرابع ولكن معناه هنا هو ان لا يظهر احد في ذلك المنصب بمثل الظهور الذي ظهر به صاحبه فيه فهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب لا لنفس الظهور وليس المراد بالختم في هذا المقام ان لا يظهر احد بمنصب الولاية بعده كما يتوهمه من لا علم له وانما المراد ان لا يظهر احد بمثل كمال الظهور الذي ظهر به هو وصاحبه هو المسمى عند الخصوص بالخاتم الاكبر ولا احد افضل منه بعد الانبياء والصحابة . وهذا المقام هو الذي ادعاه لنفسه الامام ابن عربي الحاتمي قدس سره اذ قال :

انا ختم الولاية دون شك * بورث الهاشمي مع المسيح

وقال ايضا قدس سره لما رأى مقاما فوق مقامات الاقطاب كلها ما فوقه الا مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فظن انه له واطمأنت نفسه به غاية الاطمئنان والفرح وانشد :

بنا ختم الله الولاية فانتهت * الينا فلا ختم يكون لها بعدي
وما فاز بالختم الذي لمحمد * من امته والعلم الا انا وحدي

فبينما هو كذلك اذ سمع مناديا يقول له ليس ما ظننت لك وتمنيت وانما هو لولي في آخر الزمان ليس ولي اكرم على الله تعالى منه فعند ذلك قال سلمت الامور الى خالقها ومكونها ولقد طالما جلت بصيرتي في الغيوب لاطلع عليه وعلى مقامه واسمه واسم بلده ومكانه وكيف حاله فما اطلعني الله تعالى على شيء من ذلك ولا شممت له رائحة اصلا اهـ وصاحب هذا المقام هو المدد لجميع الاقطاب والاولياء وان لم يعلموا به وهو الثابت لسيدنا وسندنا الختم الاكبر والقطب

المكتوم الاشهر ابي العباس مولانا احمد التجاني رضي الله عنه وارضاه وعنا به
كما قد ثبت عنه من طريق الثقات الاثبات من ملازميه وخاصته انه اخبر تصريحا
على الوجه الذي لا يقبل التأويل ان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم اخبره يقظة
بانه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الاقطاب الصديقين بأن مقامه لا مقام
فوقه في بساط المعرفة بالله وهو المتلقي لجميع ما يفيض من ذوات الانبياء عليهم
السلام من الامداد وهو المفيض لتلك الامداد على جميع الاولياء وان لم يعلموا به
قال سيدنا رضي الله عنه « ان الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله
عليه وسلم تتلقاها ذوات الانبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الانبياء تتلقاه ذاتي
ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ في الصور » . وقال رضي
الله عنه « روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا (مشيرا بأصبعيه السبابة
والوسطى) روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام
وروحي تمد الاقطاب والعارفين والاولياء من الازل الى الابد » . وقال رضي الله
عنه « لا يشرب ولي ولا يسقى الا من بحرنا من نشأة العالم الى النفخ في الصور »
وقال رضي الله عنه « ان مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله احد من الاولياء ولا
يقاربه من كبر شانه ولا من صغر شانه وان جميع الاولياء من عصر الصحابة الى
النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا » وقال رضي الله عنه « انا سيد الاولياء
كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء » وقال رضي الله عنه « نسبة الاقطاب
معي كنسبة الاقطاب مع العامة » قال العارف بالله سيدي عمر الفوتي في رماح
حزب الرحيم اخبرني شيخي سيدي محمد الغالي ابوطالب الشريف الحسني وانا معه
في المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام ان الشيخ رضي الله
عنه وارضاه وعنا به قال ذات ليلة في مجلسه ابن السيد محمد الغالي فجعل اصحابه
يدعون ابن السيد محمد الغالي على عادة الناس مع الكبير اذا نادى احدا فلما حضر
بين يدي الشيخ قال رضي الله عنه وارضاه وعنا به قدماي هاتان على رقبة كل

ولي لله تعالى فقال سيدي محمد الغالي وكان لا يخافه لانه من اكابر احبابه وامرائه
يا سيدي انت في الصحو والبقاء او في السكر والفناء فقال رضي الله عنه وارضاه
وعنا به بل انا في الصحو والبقاء وكمال العقل ولله الحمد وقال قلت له ما تقول بقول
سيدي عبد القادر رضي الله عنه قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى فقال صدق
رضي الله عنه يعني اهل عصره واما انا فأقول قدماي هاتان على رقبة كل ولي
لله تعالى من لدن آدم الى النفخ الصور قال فقلت له يا سيدي فكيف تقول اذا
قال احد بعدك مثل ما قلت فقال رضي الله عنه وارضاه وعنا به لا يقوله احد
بعدي قال فقلت له يا سيدي قد حجرت على الله تعالى واسعا الم يكن الله تعالى
قادرا على ان يفتح على ولي فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات
والمعارف والعلوم والاسرار والترقيات والاحوال اكثر مما اعطاك فقال رضي الله
عنه وارضاه وعنا به بلى قادر على ذلك واكثر منه ولكن لا يفعله لانه لم يرده الم
يكن قادرا على ان ينبيء احدا ويرسله الى الخلق ويعطيه اكثر مما اعطى محمدا
صلى الله عليه وسلم قال قلت بلى لكنه تعالى لا يفعله لانه ما اراده في الازل فقال
رضي الله عنه وارضاه وعنا به وهذا مثل ذلك ما اراده في الازل ولم يسبق به علمه
تعالى اه فان قيل هذا المقام الذي اثبت لهذا الشيخ الجليل رضي الله عنه ونفعنا
بأسراره هل له نقل يعضده من غير كلامه . قلنا : ان فحول الاقطاب والاولياء
مجمعون على ان هذا الختم يكون في آخر الزمان وان محله الذي يكون فيه هو
المغرب . قال الامام ابن عربي قدس سره في قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال
طائفة من امتي ظاهرين على الحق بالمغرب » الخ . انما كانت بالمغرب لانه محل
الختم والكتم وهو سر لا يعلمه الا الله تعالى مع ان العارف بالله تعالى الشيخ المختار
الكنتي رضي الله عنه قال في كتابه الطرائق ان القرن الثاني عشر من الهجرة
المحمدية على ساكنها افضل الصلاة والسلام يشاكل قرنه صلى الله عليه وسلم من
وجوه احدها : ان فيه خاتم الاولياء الى آخر كلامه وشيخنا رضي الله عنه وارضاه

وعنا به ولد عام خمسين ومائة والف كما رمز له التجاني ابن بابا العلوي في بيته بقوله
(حصل مفخر العلا ؛ حين ولد) فان قيل لعل الكتي قصد بذلك تعميم .
قلنا : لم يدعها هو ولا ادعيت له وكذلك من كان في ذلك القرن لم يدعها احد
منهم لنفسه ولا ادعيت له كما يعلم ذلك من له مطالعة وذوق سليم . فان قيل
كيف يكون الولي المتأخر افضل من الاولياء الكبار المتقدمين . قلنا : من حيث
كان النبي صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم خليل الله وموسى كليم الله
وعيسى روح الله وغيرهم من الرسل الكرام على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام
وهو متأخر فلا يبعد كون هذا الختم الاكبر افضل من غيره ورحم الله العارف
بالله صاحب سيدنا ووارث سره سيدي ابراهيم الرياحي رضي الله عنه حيث يقول
في قصيدته الميمية في مدح سيدنا قدس سره :

ان تقل كيف ذاك وهو اخير * هل يفوق المأموم قدر الامام
قلت فاق النبي وهو اخير * كل ذي رتبة سمت في الانام
ليس للقدرة القديمة عجز * وكذا الفضل لم يزل في انسجام

قال الامام ابو المواهب التونسي رضي الله عنه في بعض وصاياه « واحذروا
من قولكم ذهب الاكابر والصادقون من الفقراء فانهم ما ذهبوا حقيقة وانما هم
ككنز صاحب الجدار وقد يعطي الله من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن اهل
العصر الاول فان الله تعالى قد اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ما لم يعط الانبياء
قبله ثم قدمه في المدح عليهم » وقال ايضا رضي الله عنه كما في رسالة « قوانين
الاشراق . الى كل الصوفية في جميع الآفاق » ما نصه : « لا تقل ان آخر الزمان
يوجب ذهاب الاعيان لكنهم والله في هذه الاعصار ككنز الجدار

ما ضرني ان لم اجيء متقدما * بالسبق يعرف آخر المضمار
ولئن غدا ربع البلاغة بلقعا * فلرب كنز في اساس جدار

لا ينتقص من جاء في آخر دورات الكيان . ان قدمه عليه على الافضال

والاقران . فقد اخر الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم وقدمه في رتبة المدح والذكر » اه وقال المجد في « خطبة القاموس » ما نصه : « واقـول كما قال ابو العباس المبرد في كتابه « الكامل » وهو القول المحق ليس لقدم العهد يفضل القائل (١) ولا لحدثانه يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق » اه قال العارف المرتضى الشيخ مرتضى في شرحه « تاج العروس » المعنى ان تقدم الزمان وتأخره ليست له فضيلة في نفسه لان الازمان كلها متساوية وانما المعتبر الرجال الموجودون في تلك الازمان الخ كلامه . وقال الامام ابن مالك في « خطبة التسهيل » واذا كانت العلوم منحا الاهية . ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين الخ . وقال الامام الحكيم الترمذي في كتابه « نوادر الاصول » في الاصل الثاني والعشرين والمائة في ان « خير هذه الامة اولها وآخرها واستقامة الوسط باستواء الطرفين » ما نصه : عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير امتي اولها وآخرها وفي وسطها الكدر » وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما « مثل امتي مثل المطر لا يدري اوله خير او آخره » وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه بعثني خالدبن الوليد بشيرا الى رسول الله عليه وسلم يوم مؤتة فلما دخلت عليه قلت يا رسول الله فقال « على رسلك يا عبد الرحمن اخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل رحم الله زيدا ثم اخذ اللواء جعفر فقاتل جعفر حتى قتل رحم الله جعفرا ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل فقتل رحم الله عبد الله ثم اخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد فخالد سيف من سيوف الله تعلى » فبكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم حوله فقال « ما يبكيكم » فقالوا وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا واشرافنا واهل الفضل منا . قال « لا تبكوا فانما مثل امتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتث رواكبها وهيا مساكنها وحلق سعفها فاطعمت عاما فوجا ثم عاما

---

(١) بالقاف من القول وبالفاء بمعنى الفاسد والمخطيء .

فوجا ثم عاما فوجا ولعل آخرها طعما يكون اجودها قنوانا واطولها شمراخا والذي بعثني بالحق نبيا ليجدن ابن مريم في امتي خلفا من حوارييه » وفي رواية اخرى « ليدركن المسيح من هذه الامة اقواما انهم لمثلكم او خير منكم ثلاث مرات ولن يخزي الله امة أنا اولها والمسيح آخرها » قال ابو عبد الله الحكيم من الله تعالى على هذه الامة فقال تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس » وقال تعالى « وكذلك جعلناكم امة وسطا » اي عدلا لا يميل الى افراط ولا الى نقصان. فالميزان لسانه في وسطه وباستواء الطرفين والكفتين يستوي لسان الميزان ويقوم الوزن فجعلت اوائل هذه الامة ككفتي الميزان يستويان لانهم يهدون بالحق وبه يعدلون وما بينهما من العوج كلسان الميزان يستقيم باستواء الكفتين فانه ان مال الوسط الى اي الجانبين مال الى ركن وثيق فعم استواء الكفتين اعوجاج الوسط. وقد جاء في الخبر انه « سيظهر العلم في آخر الزمان ويقبل الناس على امر الله تعالى حتى تتم حجة الله على عباده » اه فهذا معنى الختمية في الجملة والله اعلم.

الجوهرة الثانية في معنى الكتمية وصاحبها

اعلم امدني الله واياك بنور الايمان والتصديق ان القطب المكتوم على ما يفيده كلام اهل التحقيق قطبان. - الاول - هو القطب الذي يظهره الله اماما عدلا بالولاية الظاهرة في هذه الامة آخر الزمان وهو غير الامام المنتظر لان الامام المنتظر غير قطب وهذا هو الذي اطلع الشيخ محي الدين على اسمه وبلده ونسبه ووقع له التعريف من الله تعالى بجميع احواله ثم وقع له النهي على افشاء ذلك فسماه مكتوما من عند نفسه بسبب نهيه عن افشاء امره. و - الثاني - هو القطب المكتوم الذي تحدث الاولياء والاقطاب به وطالما تمنى كل واحد منهم مقامه ولم يعثر واحد منهم على ما يحقق التعريف به وغاية ما اطلعوا عليه انه يكون في ماخر الزمان بالمغرب اه من « البغية ». وهذا الثاني هو سيدنا الشيخ رضي الله عنه وارضاه وعنا به كما اخبر بذلك عن نفسه. قال رضي الله عنه اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني انا القطب المكتوم منه اليَّ مشافهة يقظة لا مناما فقيل له

وما معنى المكتوم . فقال رضي الله عنه هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين الا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فانه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الاولياء من الكمالات واحتوى على جميعها وقال رضي الله عنه ان القطب المكتوم هو الواسطة بين الانبياء والاولياء فكل ولي لله تعالى من كبر شانه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبي الا بواسطته من حيث لا يشعر به ومدده الخاص به انما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطلاع لاحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لان له مشربا معهم صلى الله عليه وسلم . وقال رضي الله عنه ليس مرتبة كاملة من كل وجه وصاحبها محيط بجميع المراتب الا له صلى الله عليه وسلم وللقطب المكتوم فان مرتبته جامعة ومحيطة بجميع المراتب . وقال رضي الله عنه نسبة الاقطاب مع القطب المكتوم كنسبة العامة مع الاقطاب لان مقامه في غيب الغيب لا علم لهم به لا في الدنيا ولا في الآخرة اه وكان رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بقول القائل :

تسترت عن دهري بظل جناحه * فصرت ارى دهري وليس يراني
فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت * واين مكاني ما عرفن مكاني

وانما لم تظهر مرتبة هذا القطب المكتوم بين السادة الاقطاب وغيرهم لان له نسبة من الحقيقة المحمدية وقد خفي امرها فلا يعلمها الا الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « لا يعرفني حقيقة غير ربي » فكذلك هذا القطب المكتوم لا يعلم حقيقته الا الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبها فهذا معنى الكتمية في الجملة والله تبارك وتعالى اعلم . ثم (شرع المصنف في المقصود من هذا التقييد بادئا بالدعاء لنفسه) فقال : (قال مقيده رحمه الله) هذه جملة انشاء معنى ابرزها بصورة الخبر تفاؤلا بتحقيق الرحمة في الخارج حتى يصح الاخبار عنها بالمضي (التجاني طريقا شخص مسلم) ذكرا كان او انثى او خنثى حرا او عبدا طائعا او عاصيا (عقل القربة وان صغيرا لقنه) في حال عقله القربة ذكر هذه الطريقة اللازم فيها (مشتغل)

اي متقدم فيه اهلية للتلقين سواء كان ذكرا او غيره وسياتي الكلام عليه ان شاء الله
عند قول المصنف (وقدم للتلقين العارف) الخ وان له شروطا ومن اهمها وآكدها
ان يكون (اخذ) يقظة لا مناما عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه مباشرة بالاذن
الخاص او العام او هما معا من غير واسطة بينهما او (عن مثله) يعني مقدما متأهلا
اخذ تلقين ذكر الطريقة اللازم للغير بالاذن الصحيح من سيدنا رضي الله عنه او
بواسطة فصاعدا (الى الشيخ) يعني به سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به (ذكرها
اللازم) يتنازع فيه كل من لقن واخذ وسيبين ما المراد بالذكر اللازم بقوله (وهو
ورد ووظيفة وذكر جمعة) الخ (والتزم) هذا الشخص الداخل في هذه الطريقة
المحمدية في صميم قلبه وقت الاخذ (الدوام عليه) يعني ما ذكر من الذكر اللازم
بان يصيره في حقه كالنذر الواجب ولا يزال يفعل ذلك مراعيا للشروط لا يسعه الا
الاداء ويقضي الخطاب به للموت لانه هو غاية الامر اللازم بالخطاب (و) التزم ايضا
(ترك الزيارة) هي في اللغة القصد الى المزور في محله وفي الاصطلاح القصد الى المزور
لامر ما ولو بالقلب (للولي مطلقا) ذكرا كان او انثى حيا او ميتا (لا) جنس (النبي) صلوات
الله وسلامه عليهم وكذا جنس (الصحابي) ذكرا كان او انثى رضي الله عنهم اجمعين
(والشيخ) يعني سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به (والاخ فيها) حيا كان او
ميتا (والاوراد دونه) هذا معطوف على الزيارة اي والتزم ترك ورد لازم لشيخ
اخر غير شيخه وهو من الامر الذي يجب رعايته (وخص بحصول فضل زيارة
الجميع) يعني جميع الانبياء والصحابة والاولياء كمن زارهم في مواضعهم (ان
تلا) المريد الداخل في هذه الطريقة خصوصا (الجوهرة) يعني جوهرة
الكمال وهي « اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية » الخ (بشروطها) الآتي بيانها
ان شاء الله تعالى (اثنتي عشرة مرة) منها من غير زيادة ولا نقص (ونوى) عند
اول الشروع في التلاوة (زيارة الرسول) صلى الله عليه وسلم ويقول بعد
التمام هذه هدية مني اليك يا رسول الله (ولزم) من دخل في هذه الطريقة

المحمدية (محبة) جنس (الولي) مطلقا حيا كان او ميتا ذكرا او انثى وتعظيمه في القلب والظاهر ذلك لكن (دون تعلق) بواحد منهم (ولا استمداد) ايضا ثم ان الكلام فيما اشار اليه المصنف من قوله التجاني طريقا الى هنا محصور في خمسة مطالب [المطلب الاول] متعلق في الجملة بقوله : التجاني . الخ [المطلب الثاني] مرتبط بقوله : اخذ عن مثله . الخ [المطلب الثالث] متعلق بقوله : وترك الزيارة للولي . الخ [المطلب الرابع] مرتبط بقوله : وخص بحصول فضل زيارة الجميع . الخ [المطلب الخامس] متعلق بقوله : ولزم محبة الولي وتعظيمه الخ فأقول ومن المولى الغني الوهاب استمد العون والهداية الى الصواب :

﴿ المطلب الاول ﴾

في فضل هذه الطريقة وما اعد الله لاصحابها ومحبيهم

اعلم وفقني الله واياك لما يحبه ويرضاه ان اهل هذه الطريقة التجانية ذات الاسرار الربانية . عند الله ورسوله محبوبون . وعلى اي حالة هم عليها مقبولون . وذلك بمحض الفضل والامتنان . ما لم ينسلخوا عنها او يلبسوا من مكر الله حلة الامان . وكذا من مات على حبهم . ولنذكر هنا بعض فضلهم على سبيل الاختصار مما ورد من طريق الثقات عن سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به . فمن ذلك قوله رضي الله عنه : قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم انت من الآمنين وكل من احبك من الآمنين انت حبيبي وكل من احبك حبيبي وفقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي واصحابك اصحابي وكل من اخذ وردك فهو محرر من النار . وقال رضي الله عنه : من اخذ وردنا يبعث من الآمنين ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالداه وازواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بشرط الاعتقاد وعدم نكث المحبة وعدم الامن من مكر الله . وقال رضي الله عنه : من اخذ عني الورد المعلوم الذي هو لازم للطريقة او عن من اذنته يدخل الجنة هو ووالداه وازواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا

حساب ولا عقاب بشرط ان يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة و بدوام محبة الشيخ بلا انقطاع الى الممات وكذا مداومة الورد الى الممات . ثم قال رضي الله عنه : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الفضل هو خاص بمن اخذ عني الذكر مشافهة او هو لكل من اخذه ولو بواسطة فقال كل من اذنته واعطى لغيره فكانما اخذ عنك مشافهة وانا ضامن لهم وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني اولم يرني . وقال رضي الله عنه : ليس لاحد من الرجال ان يدخل كافة اصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا الا انا وحدي ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم امر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف الا في الآخرة . وقال رضي الله عنه : اصحابي لا يحضرون الموقف ولا يرون صواعقه ولا زلازله بل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى صلى الله عليه وسلم في الزمرة الاولى مع اصحابه ويكون مستقرهم في جواره صلى الله عليه وسلم . وقال رضي الله عنه : ان صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا اذا تاب بعدها . وقال رضي الله عنه : في قوله تعلى « وثلة من الآخرين » هم اصحابنا . وقال رضي الله عنه : كل من عمل عملا صالحا من اعمال البر وتقبل منه يعطينا الله تعلى ولاصحابنا على ذلك العمل اكثر من مائة الف ضعف مما يعطي صاحب ذلك العمل سواء قل ذلك العمل او كثر مفروضا كان او غير مفروض ونحن رقود والحمد لله . وقال رضي الله عنه : اللطف لطفان اللطف الممتزج بالمشيئة الالاهية وهو الذي اشارت اليه الآية الكريمة « ان ربي لطيف لما يشاء » وهو المشار اليه في قول صاحب الحكم « من ظن انفكاك لطفه عن قدره . فذلك لقصور نظره » ولطف خاص يخص الله تعلى به اهل الخصوصية من عباده وهو لازم بفضل الله لاصحابي لا ينفك عنهم في سائر تقلباتهم ولا ينفك اللطف العام عن المشيئة الربانية . وقال رضي الله عنه : ان

اصحابي في جوارة صلى الله عليه وسلم في اعلا عليين مع اولي العزم من الرسل وغيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال رضي الله عنه : ان اصحابنا يوم القيامة ليسوا مع الناس في الموقف بل هم مكتنفون في ظل العرش في موضع وحدهم ولا يقدم عليهم احد في دخول الجنة الا الصحابة رضي الله عنهم . وقال رضي الله عنه : لا مطمع لاحد من الاولياء في مراتب اصحابنا حتى الاقطاب الأكابر ما عدا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال رضي الله عنه : لو اطلع اكابر الاقطاب على ما اعد الله تعلى لاهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا يا ربنا ما اعطيتنا شيئا . وقال رضي الله عنه : البيضة (١) منا بالف والفرخ لا يقوم . وقال رضي الله عنه : طابعنا محمدي كل من اخذ وردنا ينزل عليه وتحصل الشفاعة له في الحين ولوالديه . وقال رضي الله عنه : طريقتنا طريق محض الفضل اعطاها لي صلى الله عليه وسلم منه الي بغير واسطة يقظة لا مناما. وقال رضي الله عنه : كل ما ذكرت لكم في هذه الطريق حق واقع ان سلمنا من مكر الله فالرسل عليهم الصلاة والسلام على جلالة قدرهم وعلو منصبهم ما آمنوا مكر الله « فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون » . وقال رضي الله عنه : قال لي صلى الله عليه وسلم انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا . وقال رضي الله عنه : هو صلى الله عليه وسلم كفاني الحضور مع اصحابي عند الموت وعند السؤال . وقال رضي الله عنه : (كما في جامع ابن المشري رحمه الله) يعطي الله لاصحابنا ثواب كذا فقلت له ثواب الاعمال او ثواب المرتبة فقال لي رضي الله عنه ثواب الاعمال والمرتبة قلت له وهذا الفضل العظيم حصل لهم بسبب « الفاتح لما اغلق » او بغير ذلك قال فسكت هنيهة ثم قال من اجلنا لله الحمد والمنة الخ . قلت رحم الله الامام البوصيري حيث يقول :

وإذا سخر الإله اناسا ❊ لسعيد فانهم سعداء

(١) المراد بالبيضة الذي لم يفتح عليه والمفتوح عليه هو الفرخ .

﴿ المطلب الثاني ﴾

في فائدة طلب شيخ كامل وسير الاخذ والتلقين والسند

اعلم ايها المريد لنجاة نفسك ان اول ما يجب عليك قبل كل شيء طلب شيخ يوصلك حبله الى مولاك ويبصرك بعيوب نفسك ويخرجك من طاعة هواك ولو رحلت في طلبه الى اقصى الاماكن والبلاد. وانفقت فيه بضائع المهج والفؤاد. قال الامام ابو القاسم القشيري في رسالته «ثم انه يجب على المريد ان يتأدب بشيخ فان لم يكن له استاذ لا يفلح ابدا» هذا ابو يزيد يقول «من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان» وفي ربع المهلكات من الاحياء «ان المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طريقة فيها هلاكه» قال «فمن سلك البوادي المهلكة من غير دليل فقد خاطر بنفسه واهلكها» اهـ قال القائل:

لا تسلكن طريقا لست تعرفها ﴿ بلا دليل فتهوى(١) في مهاويها

وقال الآخر:

من لم يكن خلف الدليل مسيره ﴿ كثرت عليه طرائق الاوهام

ثم قال ابو حامد «ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر» الخ كلامه. وقال الاستاذ ابو علي الدقاق قدس سره «الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانه ان جع

---

(١) تهوي بكسر العين من باب ضرب لانه بمعنى سقط. اما يهوى بفتح العين من باب تعب فمعناه المحبة. قال المجنون:

اسرب القطا هل من يعير جناحه ﴿ لعلي الى من قد هويت اطير

او معاوية التجيبي

امرها تورق ولا تثمر كذلك المريد اذا لم يكن له استاذ ياخذ منه طريقه نفسا نفسا فهو عابد هواه ولا يجد نفاذا » اهـ ونقل الامام ابن عطاء الله في لطائف المنن عن شيخه ابي العباس رضي الله عنه « من لم يكن له استاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف له عن قلبه القناع فهو في هذا الشان لقيط لا اب له دعي لا نسب له » اهـ وقد نص ايمة الطريق كلهم على ان الذكر من حيث هو لا يتخذ منه ورد ولا وظيفة الا باذن شيخ ومن اتخذ وردا بغير اذن فهو غار مغرور وصاحبه على خطر وعلى تقدير انه ان سلم فلا يصل في المدة المديدة ما يصله من له الاذن في لحظة واحدة لحكمة الاهية اقتضت ذلك . قال الشيخ جبريل الخزمابادي قدس سره « وها هنا اصل اصيل يجب رعايته فان الذكر بدون رعايته لا يوصل الى المقصود وان كان لا يخلو عن فائدة ما وهو ان يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتصل محبته وطريقه بالحضرة النبوية » اهـ واعلم ان الشيوخ قدس الله ارواحهم نواب الحق في العالم كالرسل عليهم السلام في زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الانبياء عليهم السلام غير انهم لا يشرعون فلهم رضي الله عنهم حفظ الشريعة في العموم وما لهم التشريع ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب في الخصوص هم من العلماء بمنزلة الطبيب من العلماء بعلم الطب فمن عثر على واحد منهم فقد ظفر بالكنز الذي لا يفنى . والدواء الذي يشفى من كل مضنى . فعليه بالانقياد اليه . واستسلام نفسه بين يديه قال القائل :

وغنم مريد في انقياد لكامل * له خبرة بالعلم والوقت والحال
هو الكنز والاكسير والكيميا لمن * اراد وصولا او بغى نيل آمال

لانهم قدس سرهم كما قال سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به « حبال الله ادلاها لخلقه من تمسك بهم نجا » اهـ فان قيل ما المقصود من العثور على الشيخ هل المراد به الشيخ الحي او لا . علينا الجواب ـ ان الشيوخ من حيث هم على قسمين اشياخ التعليم وهذا القسم لا بد من وجوده حيا . ومشائخ السلوك الطريق

المستقيم وهذا القسم على نوعين اما ان يصدر الشيخ من يقوم مقامه بالتربية في
قيد حياته او بعدها او يخلفه بعده وهو يتصرف في المريد بالهمة فلا ريب وان
هذا وجوده فيه صلاح وانتقاله من دار الدنيا مع بقاء تصرفاته فيه فلاح لان
روحه تقوم بالتربية وهي اقوى فعلا في المريد من حيث كونه لا يشعر ولا
سيما من كان مثل سيدنا رضي الله عنه فهو وان انتقل لدار البقاء مع تعوذ سره
في مريده لم يخل الدهر منذ وفاته قدس سره من خليفة له او مقدم في كل
قطر جعله لتلقين اوراده في حياته وبعدها وهم يلقنون غيرهم بالاذن الصحيح
ذلك . وقد نص ايمة الطريق على ان المرشد لا فرق بين ان يكون شيخا او
نائبا وقد تقدم قول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه
« كل من اذنته واعطى لغيره فكانما اخذ عنك مشافهة » والنوع الثاني ان
يكون الشيخ تصرفه مقصورا على حياته فاللقاء مع هذا لاجل السلوك هو المتعين
في حال الحياة لان كمال تصريفه مرتبط بالنظر في مصالح المريد ولا يصح ذلك
الا بوجوده مثل القسم الاول فافهم . واعلم كما قال سيدنا رضي الله
عنه « ان النفع في صحبة الشيوخ قدس سرهم مقصور فيه على شهود امرين :
الاول - ان يعلم ان الشيخ المراد صحبته والدخول في طريقه ولي لله تعلى
فيصحبه ويدخل في طريقه لتجذبه موالاته لموالاة الله و - الامر الثاني - ان
يعلم انه من عبيد الحضرة الالاهية وانه عارف من طريق التعرف الالاهي
مكاشفة ومنازلة بما للحضرة من الآداب فيصحبه ليدله على ذلك ومن صحب
المشائخ ودخل في طرقهم بغير هذين الامرين فقد خسر الدنيا والآخرة » اه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

﴿ المطلب الثالث ﴾

في فائدة ترك الزيارة وما المقصود منها

اعلم ان تحقيق الكلام في ذلك يطلب من مباحث (المبحث الاول) اعلم

وكلها ان طرق القوم رضي الله عنهم كثيرة ، وتفاصيلها من حيث هي شهيرة ، تبلغ الى طريق واحدة وهي الموسومة (بالمحجة البيضاء) التي لا يزيغ عنها الا هالك وهي التي توصل الى الله تعلى . فمن لازم سلوك طريقة واحدة من تلك الطرق وصل لا محالة الى المحجة لكن من تلك الطرق ما هو قريب جدا ومنها ما هو بعيد جدا ومنها ما هو متوسط فاذا شرع المريد في سلوك طريقة وتعلق بحبلها واريد به الوصول لازمها حتى يصل الى المقصود عن قرب او بعد :

اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وقد صح عن اويس القرني رضي الله عنه انه قال « احكم كلمة قالتها الحكماء قولهم صانع وجها واحدا يقبك الوجوه كلها » وقيل ورد في الخبر « اجعل عملك كله لوجه واحد يكفيك الوجوه كلها » اخذه الامير منجك فقال قدس سره

اشغل فؤادك بالتقى * واحذر بأنك تلتهي
واعمل لوجه واحد * يكفيك كل الاوجه

والا زين الشيطان طريقة اخرى وتساعده النفس الامارة بالسوء على ذلك ويبين له بالبرهان انها افضل منها واقرب للوصول ومقصوده ان يزيله عن الاولى فاذا زال عنها واشتغل بأخرى زين له أخرى الى ان يميل الطالب وتسكن حرارة طلبه فيرجع القهقرى ولا يصل الى المقصود ابدا فلذا توعر الطريق عن السلوك فيه وقل من يبلغ المنى من المريدين ولنا في المعنى :

الطرق شتى واين سالكها * فقلما تبصرن بها احدا
فالزم طريقا ولا تكن ضجرا * لا بد ان تبلغن بها الامدا

هذا ان حفظ الله المريد من عقوبة الشيخ بأن لم يشترط عليه الوقوف مع طريقه وعلى ما حد له والا باء بغضب من الله والعياذ بالله تعلى كطريقنا معشر التجانيين فانها مشروطة بالوقوف معها وترك الزيارة للاولياء مطلقا وانه لا يدخل احد فيها حتى يوخذ عليه العهد بذلك من غير تأكيد عليه في الدخول

فيها حتى يذعن لذلك عن طيب نفس بجاذب الحضرة فحينئذ لا ينبغي لمن اخذ عليه العهد بذلك ان يزور الاولياء وليتأمل قوله تعلى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم »

(المبحث الثاني) اعلم انه يجب في طرق القوم رضي الله عنهم على كل مريد محبة شيخه محبة لم تكن منه لغيره من الشيوخ الاحياء والاموات . قال سيدنا رضي الله عنه « من اكبر الشروط بين الشيخ ومريده ان لا يشرك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع اليه وليتأمل ذلك في شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم فان من سوى رتبة نبيه صلى الله عليه وسلم رتبة غيره من النبيئين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على ان يموت كافرا الا ان تدركه عناية ربانية بسبق محبة الآهية فاذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب ولا يعادل به غيره في هذه الامور ولا يشرك غيره به » اهـ وقال العارف بالله الشعراني رضي الله عنه في كتابه خير المورود « اخذ علينا العهد ان لا ناخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نامره به من الخير الا ان كنا نعلم منه يقينا انه لا يقدم علينا في المحبة احدا من الخلق مطلقا حتى اهله وولده ووراثة نبوية لا استقلالا - قال - واعلم انه لولا علم رسول الله صلى الله عليه ان لمحبة الناصح مدخلا في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون غيره ما قال « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من اهله وولده والناس اجمعين » الخ كلامه . واعلم ان المحبة هي شجرة الصلاح . وثمرة الفلاح . وهي التي توصل لمحبة الشيخ المريد لان لها جاذبا الآهيا للارواح فاذا اتصلت اشعة محبة من بينهما احاطت محبة الشيخ بالمريد وحوشته من قاطع فاذا دامت دام الاتصال . واذا انقطعت وقع الانفصال . وانقطاعها يقع بحلول محبة سوى الشيخ في قلب المريد مثل محبته او اكثر . قال العارف بالله سيدي علي بن وفا قدس سره في كتابه الوصايا « اعلم ان قلوب الرجال . امثال الجبال . فكما ان الجبال لا يزيلها

عن اماكنها الا الشرك بالله كما قال عز وجل « وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا » فكذلك قلوب الرجال لاسيما الولي لا يزيل قلبه الا الشرك الواقع من تلامذته معه من اشراك احد معه في المحبة لا يزيله الا ذاك » الخ كلامه . فاذا زالت محبة المريد من قلب الشيخ انسد عنه باب القبول وقدم الرسوخ منه عند جميع الشيوخ تزول وان وقع من المريد اختصاص بالشيخ المراد ، نال منه كل مراد ، ولله در الشيخ سيدي حمدون بن الحاج حيث يقول :

اذا كان منك اختصاص لي قويت على * ما شئت مني بتفصيل واجمال
واذا غدوت مشاركا ضعفت فلم * تعمل واهملت كل اهمال
كالحرف عند اختصاصه له عمل * وفي التشارك لم يفز بأعمال

ورحم الله القائل :

احب من الاحباب من كان لي وحدي
واهوى من الاصحاب من لم يخن عهدي
وان كان لي فيمن هويت(١) مشارك
تركت الهوى اصلا وعشت انا وحدي

ولما رأى العاشق ان سبب طرده عن الوصال التفاته عن الاحبة الى سواهم قال:

عيدوا الي الوصال عيدوا * فان وجدي بكم جديد
وقربوا الوصل والتداني * فالقرب للعاشقين عيد
خذوا فؤادي وقتشوه * وقلبوه كما تريدوا
فان وجدتم به سواكم * علي زيدوا البعاد زيدوا

ومما يقرب من هذا الباب قولنا :

حلا لقلبي بك السقام * وطاب لي بالجفا الغرام (٢)
هيهات ان اسلوك بغير * على فؤادي السوى حرام

(١) هويت من باب تعب اه مصححه (٢) هذه الابيات كالتي قبلها من مخلع البسيط .

فان تجد باللقا فقضل * وما على هجرك الملام

من امكم معدما فحقا * يغدو غنيا ولا يضام

وقولنا :

يا قرة العين كوكب الظلم * وجنة الخلد كوثر الحكم

قد رقم العشق فيك في خلدي * حب السوى مع هواك كالعدم

جدلي بوصل فانني دنف * فات عقلي ومهجتي ودمي

حكى غير واحد من الصوفية ان رجلا من العارفين رضي الله عنهم توله بحب امرأة وكانت من الصالحات فترك ما كان عليه من العبادات وادعى لها ان حبها تمكن منه ولم يقع منه التفات ابدا الى غيرها فطلب منها الوصال المرة بعد المرة حتى لقيها يوما في موضع خال فصار يتلطف معها ويذكر لها ما قاساه بغرامها وان محبته لم تبدل بسواها فقالت له هذا ما صنعت بهواي فكيف لو رأيت احسن مني فقال يا مولاتي وهل احد احسن منك فقالت نعم هذه اختي احسن مني وها هي آتية ورائي فالتفت ليراها فصكت وجهه وقالت له تبا لك ولا ذلك يا مغرور تدعي المحبة وتطلب السوى عنه رغبة وانشدت :

اسمح بنفسك ان اردت لقانا * واحلف بنا ان لا تحب سوانا

فاذا قضيت حقوقنا يا مدعي * عاينتنا بين الانام عيانا

فتفطن لما اشارت اليه وان الالتفات عن المحبوب . من اعظم الذنوب ، فتاب الى الله ورجع الى ما كان عليه من طاعة مولاه . ويروى ان نبي الله سليمان على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام رأى عصفورا يقول لعصفورة لم تمنعين نفسك مني ولو شئت اخذت قبة سليمان بمنقاري فالقيتها في البحر فتبسم سليمان عليه السلام من كلامه ثم دعا بهما وقال للعصفور اتطيق ان تفعل ذلك قال يا رسول الله المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته والمحب لا يلام على ما يقول فقال سليمان عليه السلام للعصفورة لم تمنعيه من نفسك وهو

يحبك فقالت يا رسول الله انه ليس محبا ولكنه مدعي لانه يحب معي غيري فاثر كلام العصفورة في قلب سليمان عليه السلام وبكى بكاء شديدا واحتجب عن الناس اربعين يوما يدعو الله ان يفرغ قلبه لمحبته وان لا يخالطها محبة غيره ام

ولنا في المعنى :

اذا كنت تهوى الحبيب فدع * سواه فانه ينفي الشريك

أليس علامة من يدعي الـ * غرام اتباع الحبيب المليك

وقلت ايضا :

حب السوى مع من تهواه محظور * وذا لدى مذهب العشاق مشهور

فاسمح بنفسك ان تبغ الوصال فمن * لحبه يبذلها فهو مشكور

فاذا علم ان مدار طريقة القوم قدس سرهم على المحبة فلا ينبغي للمريد ان يلتفت الى غير شيخه ولو بشيء ما فان الالتفات من اعظم الزلات . وقد وقع بعض المريدين في عقوبة بسبب امتحان من شيخه لاجل التفات باطني صدر منه فأرسل الى شيخه يستعطفه ويستاذنه في التوجه لزيارته فأرسل اليه ذلك الشيخ رضي الله عنه جوابا ومن جملة ما فيه :

توجه نحونا تعط الامانا * وغمض عين قلبك عن سوانا

ولازم عهدنا ما دمت حيا * تكون اذن مصونا في حمانا

وبمر باب حضرتنا فقيرا * وغض الطرف عن غير ترانا

تحمل للبلاء وكن شكورا * وجد بالنفس ان تحب لقانا الخ

فهذا هو السر في منع الزيارة عندنا معشر التجانيين . (المبحث الثالث) اعلم ان الاخذ عن المشائخ رضي الله عنهم بحسب المريدين منحصر في قسمين ـ الاول ان يكون مقصود المريد بالاخذ عنهم التبرك بهم والانحياش اليهم دون صحبة التربية . فلا يبالي هذا المريد بصحبة كل الشيوخ لانه ليس تحت حكمهم وهذا القسم وان كان شريفا لكن لا يبلغ مريده مرتبة شيخه ومرتبة اصحابه ـ الثاني

ان يكون مقصود المريد بالاخذ عنهم الدخول تحت حكمهم وتسليم النفس اليهم وصاحب هذا القسم هو المريد بالتربية الحقيقية فيحرم على هذا المريد الخروج عن امر شيخه ونهيه لان رضا الله في رضاه وسخطه في سخطه.

قال الامام ابن عربي قدس سره في الباب 181 «من الفتوحات المكية» اعلم ان حرمة الحق في حرمة الشيخ وعقوقه في عقوقه فهم حجاب الحق الحافظون احوال القلوب على المريدين فمن صحب شيخا ممن يقتدى به فلم يحترمه فعقوبته فقدان وجود الحق في قلبه والغفلة عن الله الى ان قال: «والاصل انه كما لم يكن وجود العالم بين الآهين ولا المكلف بين رسولين مختلفي الشرائع ولا امرأة بين زوجين كذلك لا يكون المريد بين شيخين اذا كان مريد تربية فان كانت صحبة بلا تربية فلا يبالي بصحبة الشيوخ كلهم لانه ليس تحت حكمهم وهذه الصحبة تسمى صحبة البركة غير انه لا يجيء منه رجل في طريق الله فالحرمة اصل في الفلاح» اه بلفظه. فظهر ان المريد لا يكون مريدا كاملا الا اذا ملك نفسه تحت يد شيخه بحيث يعتقد ان لا احد اولى بتربيته من شيخه. قال صاحب الخلاصة المرضية «ومن شرط المريد ان لا يبقى في نفسه مقدار لكل شيء الا لشيخه خاصة ومتى كان عند المريد تطلع الى شيخ آخر فلا تصفو محبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ فان المريد كلما ايقن بتفرد الشيخ عرف قدره وفضله وقويت محبته والتاليف هو الواسطة بين الشيخ وبين المريد وعلى قدر المحبة يكون سراية الحال فاحترام الشيخ توفيق وهداية واهمال ذلك خذلان وعقوق فدوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم واجب ويكون في اعتقاده ان هذا المظهر هو الذي عينه الحق سبحانه للافاضة عليه ولا يحصل له الفيض الا بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا مملوءة بالمشائخ» اه

ومن كلام سيدي علي بن وفا رضي الله عنه «الاستاذ مظهر سر الربوبية فعلى

المريد ان يقف عند امر استاذه وان لا يلتفت عن استاذه يمينا ولا شمالا » الخ ومن كلامه ايضا « المريد الصادق عرش لاستواء رحمانية استاذه كتب على نفسه ان لا يدخل بيتا فيه سواه ، ولا يظهر لعين رأت غيره في مرآه » اه وقال العارف بالله الشيخ علاء الدين الخوارزمي قدس سره « ينبغي للمريد ان يظهر جميع احواله للمرشد ويتيقن انه لا ينال المقصود الحقيقي الا برضاه وحبه فيطلب رضاه ويعتقد ان كل الابواب مسدودة دونه ظاهرا وباطنا الا ذلك الباب الذي هو مرشده » وقال ايضا « اذا خلا قلب المريد بأمر مرشده عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعا من حبه وتمكن من محبته يكون حينئذ قابلا لورود الفيوضات الالاهية الغير المتناهية عليه فان القصور لا يكون من الفيوضات بل من الطالب فمتى ارتفعت عنه الموانع لا جرم يصل اليه بهمة المرشد حال يتحير في ادراكها من مقولة — رب زدني فيك تحيرا » الخ . وقال العارف بالله تعالى سيدي احمد عرب الشرنوبي الكبير في « تائية السلوك » عند التعرض لشروط المريد فيها :

ولا يلتفت يوما الى غير شيخه ۞ فذلك وصف موجب للقطيعة

وفي رائية الشريشي :

ولا تقدمن قبل اعتقادك انه ۞ مرب ولا اولى بها منه في العصر

فان رقيب الالتفات لغيره ۞ يقول لمحجوب السراية لا تسر

قال في الابريز عند شرح هذين البيتين « قال الشيخ — يعني سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه — اي ولا تقدمن على شيخ بقصد الدخول في صحبته حتى تعتقد انه من اهل التربية وانه لا احد احق منه بها في زمنه وانما وجب عليه ذلك لان الشيخ الذي يرى من مريده الالتفات الى شيخ غيره يقطع عنه المادة والمريد الذي يدخل في صحبة شيخ وهو يرى ان في الوجود شيخا مثل شيخه او اكمل منه يبقى مشوقا الى ذلك الاكمل في اعتقاده فيراه شيخه متشوقا اليه فيقطع عنه المادة فلا يكون منتفعا بالاول ولا بالثاني » قال الشيخ رضي الله عنه « وقد

رأينا في زماننا كثيرا . والله يكون لنا وليا و نصيرا » اه . وقال الفاسي في شرحه لها « اي ان مراقبتك لغير شيخك والتفاتك الى ذلك الغير يقطع عنك السراية المحبوبة اي المدد الساري اليك من شيخك حيث كنت مجموعا بكليتك عليه قبل مراقبتك الالتفات الى الغير » . قال الشيخ زروق « ولا تلتفت عنه ولو رأيت من هو أعلى منه فتحرم البركة من الاول والثاني ولذلك كان المشائخ يمنعون اصحابهم من صحبة غيرهم بل ومن زيارتهم وهذا مما ينكره المترسمون الجاهلون باحوال اهل الله » اه . وقال الشيخ جبريل الحز مابادي قدس سره « ويتعين ربط القلب بالشيخ من طريق الارادة والمحبة فتعلم انك في حمايته وولايته وظل رعايته في جميع الاوقات فتمسك بهذه الطريقة بأمره وارشاده والله تعلى يحفظ اوقاتك واحوالك بواسطته ويكون باطنك متوجها اليه فالاصل اتصال الباطن وقوة الرابطة حتى لو قام ارواح الاولياء باعانتك وتربيتك وارادوا ان يتصرفوا فيك لا تمكنهم لئلا تصير من قبيل المذبذبين بين ذلك » اه . وحكى الامام الشعراني في « العهود المحمدية » ان سيدي محمد الشناوي رحمه الله اراد زيارة شيخ من مشائخ عصره فشاور شيخه الشيخ محمد بن ابي الحمايل رحمه الله فنظر اليه شزرا وقال « يا محمد لا ينبغي لمريد ان ياخذ عن شيخ الا اذا علم انه يكفيه من جميع الناس فان كنت اكفيك فكيف تغيرت علي في الظاهر وباطنك بخلافه » فقال يا سيدي التوبة فتاب . اه وفي الابريز « وكنت معه - يعني شيخه سيدي عبد العزيز - ونحن في جزاء ابن عامر بمحروسة فاس أمنها الله فقال لي ان سيدي منصورا في راس الدرب احب ان تلاقى معه وتعرفه فقلت يا سيدي نعم وحبا وكرامة وكيف لا احب التقى مع القطب فقال رضي الله عنه اما انا فلو قدرنا اباك وامك ولدا من يمكنك في شكلك وصفتك وعلمك وجميع ما عليه ذاتك باطنا وظاهرا عدد مائة ما نظرت الى واحد منهم أنت حظي وقسمتي وهم عندي كسائر الناس فاستيقظت من غفلتي وعلمت أني ما جئت بشيء فان لا تقبل الشركة » اه . وفيه ايضا « وسمعته رضي الله عنه يقول

ان العبد لا ينال معرفة الله حتى يعرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يعرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم حتى يعرف شيخه ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس في نظره فلا يراقبهم ولا يراعيهم فصل عليه صلاة الجنازة وانزع من قلبك الشوق اليهم » اه. وفي مشهد الزيارة من المشاهد المنسوبة لسيدي علي حرازم قدس سره التي رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب سيدنا الشيخ رضي الله عنه وارضاه وعنا به « اعلم ان لكل شيخ من اهل الله المعتبرين الذين لهم الوصلة مع الله تعلى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم حضرة خاصة به لم يشترك فيها مع غيره قبل ولا بعد وتلك الحضرة جامعة لانواع ما عليه تلك الحضرة الالاهية الجامعة لجميع الحضرات وكل شيخ من الشيوخ تابع لطريق رسول من الرسل واحكامه وشرائعه وتوابعه ولوازمه وما عليه ذلك الرسول في جميع ما اوحي اليه في شريعته ولا خروج لذلك الشيخ عن طريقة ذلك الرسول وكل من رام الخروج عن تلك الطريقة ساقته المقادير الالاهية والاحكام الربانية اليها لتكون هذه الامة جامعة لحقائق جميع الانبياء والرسل كما ان علماء هذه الامة جامعة لشرائع الامم فتكون هذه الامة الشريفة جامعة لاحكام سائر الرسل والانبياء في الشرائع والحقائق فاذا كان الامر هكذا على هذا المهيع فكل تلميذ له عهد صحيح بشيخه وزار غيره نادته حضرة ذلك الشيخ وقالت له لا نصيب لك في هذه الحضرة لان حضرة شيخك كافية لك من جميع النواحي فما لك عنها فلو كانت وجهتك خالصة تامة لا التفات لها للغير لو اردت ان تقضي حوائج الخلق في لحظة واحدة لفعلت وحين كانت وجهتك معرضة عن حضرة شيخك غير مؤتلفة بروحك وسرك وحضرة الغير لا نسبة بينك وبينها فلا انت بحضرة الغير ولا بحضرة شيخك فخسرت الدنيا والآخرة. هذا لمن اراد السلوك لحضرة الله وكان تلميذا صحيحا واخذ العهد على شيخه بنية الشيخوخة والتربية فيه هذا المسلك واما غير السالك ومن لا شيخ له واراد الزيارة فلا عليه في زيارة جميع الاولياء لا

وفرت له شروط الزيارة وآدابها والادب مع الحضرة الالآهية والدخول عليها.
الى ان قال : وانما نهيناهم - يعني اصحاب سيدنا - عن زيارة الغير لا من الاحياء ولا من الاموات لعدم وفور وجهتهم لحضرة شيخهم فلو قصدوا زيارة ولي غير شيخهم وتحولت وجهتهم عن حضرة شيخهم للامر الذي ذكرناه سابقا فلا هم بحضرة شيخهم ولا هم بزيارة غيره « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » وانما نهيناهم عن ذلك رحمة بهم ورأفة وعناية بك وبأصحابك الى ان قال : وانما امرنا أصحابك ايضا بعدم الزيارة للغير اختبارا وامتحانا لتعلم الصادق من الكاذب فالصادق كل ما تأمره به يرتكبه في الحين من غير معذرة ومن غير تردد مع طلب النفس دون غيره » الخ المشهد . فهذا ونحوه هو السر في ترك الزيارة عندنا معشر التجانيين . (المبحث الرابع) اعلم ان المريد للزيارة مع تقيده بطريقة شيخ لا يخلو حاله من أمرين : اما ان يكون لم يكتف بشيخه وهذا ليس بمريد توبة لا كلام معه . واما ان يكون اعتقد انه يكفيه فهو حينئذ ان زار غيره من قبيل المتلاعب والمستهزي بالشيوخ فيخاف عليه . قال الامام ابن عربي قدس سره « ما سامح شيخ مريده في الاجتماع بغيره فانه ما اجتمع مريد بغير شيخه الا حصل له تردد في أي الشيخين أعلا من الآخر حتى يتهذ له وانا حصل له ذلك رفضه قلب الاثنين فلم ينتفع بأحد منهما لان شرط الانتفاع جزم التلميذ بأنه لا يخرج من دائرة شيخه حتى يحصل له الكمال » اه . وفي الابريز عند اثناء شرح قول صاحب الرائية :

ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره * ولا تملأن عينا من النظر الشزر

« اي فلا تعرف غير شيخك ولا تلتفت الى غيره لان معنى هذا الادب الجمع والاستغراق فيه والانحياش اليه والغيبة في سره ليثمر له ذلك مع الشيخ مثله مع الحق سبحانه لان كل ادب يستعمله المريد مع الشيخ فانه يثمر له مثله مع الله عز وجل » اه . اي والعكس كذلك لانه كما قال ابن العربي :

ما حرمة الشيخ الا حرمة الله * فقم بها ادبا لله بالله

وقد تقدم قوله ايضا «اعلم ان حرمة الحق في حرمة الشيخ وعقوقه في عقوقه» فان قيل ان منع الزيارة هو من قبيل التكبر وسوء الادب مع سادات الاولياء قدس الله سرهم وعدم الحرمة لهم وذلك خذلان . قلنا : لا يلزم منها ذلك لان التعظيم في القلب وبالقول الطيب فيهم وهجر مبغضهم ومقصودنا من ذلك هو عدم طلب الاستمداد منهم فقط وهو لا يستلزم عدم الحرمة والتعظيم مع كونهم ايضا رضي الله عنهم لا يرضون بالتفات المريد عن شيخه اليهم بل يردونه على عقبه خائبا فلا ينتفع بهم ولا بشيخه وتقدم قول الشيخ سيدي احمد زروق رضي الله عنه «لا تلتفت عن شيخك ولو رأيت من هو اعلا منه فتحرم البركة من الاول والثاني ولذلك كان المشائخ يمنعون اصحابهم من صحبة غيرهم بل ومن زيارتهم وهذا انما ينكره المترسمون الجاهلون بأحوال اهل الله » اه. وفي الخلاصة المرضية « ويجب على الشيخ ان لا يترك اصحابه يزورون شيخا آخر ولا يجالسون اصحابه فان المضرة سريعة للمريدين - الى ان قال - ويتخيل الناس والمريدون غير الصادقين ان الشيخ انما يمنع اصحابه من زيارة الشيوخ ومجالسة اصحابهم من اجل رياء وحسد وهذا كله باطل وافتراء على الشيوخ » اه. ورحم الله الامام ابن عربي حيث يقول :

جهلت مقادير الشيوخ * اهل المشاهد والرسوخ

واستنزلت الفاظهم * جهلا وكان لها الشموخ

قال العارف بالله الشعراني في البحر المورود « اخذ علينا ان لا نمنع احدا قط من زيارة اقراننا ومشائخ عصرنا الا ان علمنا من طريق الكشف الذي لا يدخله محو ان فتحهم لا يكون الا على ايدينا فحينئذ نمنعهم من زيارة غيرنا من الاشياخ تقريبا للطريق عليهم لا حبا للرئاسة على الناس فان لم تعلم ان فتحهم يكون على ايدينا فليس لنا منعهم . قال : وكان سيدي علي الخواص رحمه

يقول : ما زكت الا كابر انفسها الا ليقربوا الطريق على اتباعهم وتلامذتهم
كما قال صلى الله عليه وسلم « انا اول شافع واول مشفع » لتعلم امته ان
احد يشفع قبله فيأتونه اولا ولا يذهبون الى نبي بعد نبي كغيرهم من الامم او نحو
قال : وهذا الامر من الشيخ في حق اكابر اصحابه الذين يعرفون
مقامهم اما ضعفاء الحال فتقيدهم علينا حتى لا يذهبوا لغيرنا لانهم كالبهائم
سارحة » اه . وكان سيدي علي الخواص ايضا يقول « اذا رأيتم احدا من المشائخ
يحجر على من زار من اتباعه احدا من اقرانه فاحملوه على انه ما تغير الا لمصلحة
اطلع من طريق كشفه على ان فتحه لا يكون الا على يديه فظهر له
ان يلازمه مصلحة له لا لعلة اخرى من حظوظ النفوس » اه . وقد علمت
وتقدم علما يقينيا ان سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به هو ممد الاولياء لكونه
واسطة فيما يصل اليهم من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فعليه لا يكون
الفتح لاصحابه الا على يده من باب اولى فلا ينبغي لمريديه ان يزوروا الاولياء
مطلقا سواء الاحياء والاموات عدا ما استثني من ذلك . فان قيل قد ثبت ان
شيخكم ممد الاولياء وهو ايضا ممدكم وزيارة بعضكم بعضا مأذون لكم فيها لان
استمدادكم منه فعلى هذه الحيثية تجوز زيارة الاولياء لانهم اخوانكم في
الاستمداد . قلنا : هذا صحيح لكن وقع لنا النهي عن زيارة غير اصحابه الذين
اخذوا ورده المخصوص به وغير الانبياء والصحابة .

ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده * يظل من الانكار في لهب الجمر

﴿ المطلب الرابع ﴾

في بعض جوهرة الكمال

اعلم ان هذه الصلاة الشريفة المقدار ، الجامعة ينابيع المعارف والاسرار ،
تلقاها سيدنا رضي الله عنه من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مشافهة

وذكر له فيها فضائل منها ما اشار اليها المصنف في ما تقدم بقوله « وخص بخصوص
فضل زيارة الجميع ان تلا الجوهرة بشروطها اثنتي عشرة مرة ونوى زيارة الرسول
والاصل فيه ما قاله سيدنا رضي الله عنه « اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة تسمى بجوهرة الكمال من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال هذه هدية مني
اليك يا رسول الله فكانما زاره في روضته الشريفة وكانما زار اولياء الله تعالى
والصالحين من اول الوجود الى وقته ـ وفي رواية ـ الى الابد » ومنها ان المرة
الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات . ومنها ان من لازمها في كل يوم
ازيد من سبع مرات يحبه صلى الله عليه وسلم محبة خاصة ولا يموت حتى
يكون وليا . ومنها ان من قرأها سبعا فأكثر يحضره النبي صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الاربعة رضي الله عنهم ما دام يذكرها ولما سمع بعض العلماء من اصحاب
سيدنا رضي الله عنه بهذا اراد ان يثبت حقيقة ذلك فذكر لسيدنا رضي الله
عنه ما بلغه فقال سيدنا رضي الله عنه « والله لو انك دمت على ذكرها طول
عمرك من غير فترة ما فارقك صلى الله عليه وسلم في جميع مدة عمرك اهـ »
والحضور المذكور يكون بالارواح والذوات حقيقة ولو كشف الحجاب عن
الذاكرين لها او عن بعضهم لشاهدوه صلى الله عليه وسلم على صورته التي قبضه
الله عليها وكذلك الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم وقد شوهد صلى الله عليه وسلم
هو والخلفاء رضي الله عنهم في الزاوية المباركة المرة بعد المرة . ومنها ان من
داوم عليها سبعا عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي صلى الله
عليه وسلم اهـ . وناهيك بها فضيلة ، يحق ان تنفق فيها النفوس الجليلة . وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « يود احدكم لو رآني بجميع ما يملك » .

ليته خصني برؤية وجه * زال عن كل من رآه الشقاء

قال المحقق ابن دعيين البصري في شرحه للامية البوصيري قدس سره
في اثناء شرح قوله :

فليت من وجهه حظي مقابلة * وليت حظي من كفيه تقبيل

اعلم ان من خصوص رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام انه لم ير في ارض جدب الا اخصبت ولا في ارض قوم مظلومين الا نصروا او مغمومين الا فرج الله عنهم او خائفين الا امنوا . قال الله تعلى « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم » وقال الامام السهيلي في الروض الانف « من رآى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام لم يزل خفيف الحال وان رآه في ارض جدب اخصبت او في ارض قوم مظلومين نصروا ومن رآه صلى الله عليه وسلم وكان مغموما ذهب غمه او مديونا قضى الله دينه وان كان مغلوبا نصر وان كان محبوسا اطلق وان كان عبدا عتق وان كان غائبا رجع الى اهله سالما وان كان معسرا اغناه الله تعلى وان كان مريضا شفاه الله تعلى » اه وفي كتاب الاذكار لقطب الاقطاب عن ابي قتادة رضي الله عنه « من رآى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فله حسن الخاتمة وله شفاعته صلى الله عليه وسلم وله الجنة ويغفر الله له ولابويه اذا كانا مسلمين وكانما ختم القرآن اثنتي عشرة مرة ويهون عليه سكرات الموت ويرفع عنه عذاب القبر ويؤمنه من اهوال يوم القيامة ويقضي جميع حوائجه في الدنيا والآخرة بلطفه وكرمه » اه قلت : ومن افضل الخصوصيات وآكدها واعمها واجلها ان من رآه صلى الله عليه وسلم في المنام فله البشارة برؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة . خرج الامام البخاري ومسلم وابو داوود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي » . واخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله وابي بكرة . واخرج الدارمي مثله من حديث ابي قتادة . قال الامام السيوطي في « تنوير الحلك » في الكلام على هذا الحديث اختلف في قوله « فسيراني في اليقظة » فقيل معناه فسيراني في القيامة . وتعقب بانه لا فائدة في التخصيص لان كل امته يرونه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره . وقيل المراد من آمن به في حياته ولم يره

لكونه حينئذ غائبا فيكون مبشرا له انه لا بد ان يراه في اليقظة قبل موته . وقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم فلا بد ان يراه في اليقظة بعيني رأسه . وقيل بعين في قلبه حكاهما القاضي ابو بكر بن العربي » وقال الامام ابو محمد بن ابي جمرة في تعليقه على الاحاديث التي انتقاها من البخاري « هذا الحديث يدل على ان من رآه صلى الله عليه وسلم في النوم فسيراه في اليقظة . وهل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته او هذا كان في حياته . وهل كذلك لكن من رآه مطلقا او خاص بمن فيه الاهلية والاتباع لسنته عليه السلام اللفظ يعطي العموم . ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصص فيه منه صلى الله عليه وسلم فمتعسف . قال وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه وقال على ما اعطاه عقله وكيف يكون من قد مات يراه الحي في عالم المشاهدة قال وفي هذا القول من المحذور وجهان خطران الى ان قال : وقد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة ممن كانوا رأوه صلى الله عليه وسلم في النوم وكانوا ممن يصدقون بهذا الحديث فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجه الذي يكون منه فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص . قال والمنكر لهذا لا يخلو اما ان يصدق بكرامات الاولياء او يكذب بها فان كان هو ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه لانه يكذب بما اثبتته السنة بالدلائل الواضحة وان كان مصدقا بها فهذه من ذلك القبيل لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة عن اشياء عديدة في العالمين العلوي والسفلي فلا ينكرها مع التصديق بذلك » اه . قال الامام السيوطي « وقوله ان ذلك علم وليس بخاص بمن فيه الاهليـة والاتبـاع لسنته عليه السلام مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذي لا يخلف واكثر ما يقع ذلك للعامة قبيل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده واما غيرهم فتحصل

لم الرؤية في طول حياتهم اما قليلا واما كثيرا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السنة والاخلال بالسنة مانع كبير من ذلك » اه . قلت : وهل رؤية من رآه صلى الله عليه وسلم بالذات والروح او لمثال الذات او لمثال الروح فقط الصحيح الاول وبالثالث صرح الامام الغزالي وغيره ومحصل ما اشار اليه الغزالي في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من رآني في المنام فقد رآني حقا » ان النبي صلى الله عليه وسلم يراه الف راء في ليلة واحدة بصور مختلفة شيخ وشاب وطويل وقصير وصحيح ومريض ويرى على جميع الصور فلا يظن الرائي انه رآى حقيقة شخصه المودع في روضة المدينة ولا مثال شخصه وان الحق انما رآى مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة التي هي مجلى النبوة الى آخر كلامه حسبما ذكره الشيخ الولي سيدي محمد الزواوي في اول مقدمة مرائيه ثم قال بعده رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ما ذكره ابو حامد في رؤيتي » اذا فرغت من كتب قوله فقل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله ابو حامد في رؤيتي ليس كذلك بل معنى قولي من رآني في المنام فقد رآني حقا اني بجسدي وبروحي على الحقيقة لكن انما تختلف صورتي باعتبار صفاء قلب الرائي فان كان صافيا نقيا انطبعت صورتي في مرآة قلبه على ما هي عليه من الكمال وان كان به غين حجبه ذلك الغين عني والمحجوب هو بذلك الغين الا انا لاني لست محجوبا بل انا لم ازل على كما لي وانما يحجبه هو غينه واكتبه آخر كلامه » اه المراد منه . وفي سمط الجوهر الفاخر « وقد اختلفوا في رؤياه صلى الله عليه وسلم هل لا تكون الا على صورته المعلومة وغيرها والصحيح التعميم وان رآه في اي حالة كانت هي حق ليست باطلة ولا اضغاثا الا انه ان رئيه على صورته المعروفة في حياته لم تحتج رؤياه الى تعبير وان رئيه على غير صورته المعروفة احتاجت الى التعبير والتأويل » اه . وقال ابن دعبن في شرحه لامية البوصيري « ثم ان رؤيا الشخص له صلى الله عليه وسلم في المنام بحسب

فان رآه على صفته المعروفة من الكمال فهو يدل على حسن حال الرائي
الرائي فان رآه على صفته المعروفة من الكمال فهو يدل على حسن حال الرائي في دينه ودنياه وان رآه بغير صفته او رآى نقصان عضو او حالة في اللباس او غيره من صفات النقص فهو راجع الى حال الرائي او حال اهل ذلك الموضع فلينتبه الرائي لذلك وليسع في اصلاح نفسه والانقطاع عما هو متلبس به وان رآه وهو صلى الله عليه وسلم متبسم فان ذلك بشارة له فيما قام به في يقظته من طاعة ربه تعلى او سنته صلى الله عليه وسلم وشريعته . قال : فان قيل كيف يراه خلق كثير في غير حالة واحدة فيراه بعضهم شيخا ويراه بعضهم شابا ويراه بعض ضاحكا ويراه آخر باكيا الى غير ذلك من اختلاف الاحوال . فالجواب ان هذه الاختلافات راجعة الى الرائين لا الى المرءي صلى الله عليه وسلم . ومثاله ان الانسان يرى وجهه في المرآة الكبيرة كبيرا وفي الصغيرة صغيرا و في المعوجة معوجا و في الطويلة طويلا الى غير ذلك فتكون الاختلافات راجعة الى اشكال الرائين . وشبه ايضا بجماعة ينظرون خلف جامات من الزجاج متلونة فوق طائر ابيض وراء الجامات اليس احدهم يراه اصفر وآخر يراه احمر وآخر يراه ابيض فالاختلافات راجعة الى اختلاف مناظرهم لا الى المرءي » اه . فعلى كل حال ان الصورة التي يراها الرائي بقرينة حقيقية تبين انها صورته الكريمة فلا شك انه هو صلى الله عليه وسلم لان الشيطان لا قدرة له على التشكل بصورته الشريفة وهذه احدى المعجزات لهذا النبي صلى الله عليه وسلم . قال عليه صلى الله عليه وسلم « من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي اي لا يقدر ان يتمثل بصورتي وان كانت ذاته تقبل التشكل في نفس الامر بأي ما شاء لكن صان الله تبارك وتعلى صورتي عن ان يتمثل بها مارد » . و في شرح الاربعين حديث لصدر الدين القونوي قدس سره في الحديث الثاني والعشرين عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي » و في رواية « فانه لا ينبغي للشيطان ان يتمثل في صوري » وفي رواية

« فان الشيطان لا يتكونني » وفي اخرى « من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يترا آى لي » (كشف سره وايضاح معناه) اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم وان ظهر بجميع احكام اسماء الحق وصفاته تخلقا وتحققا فان من مقتضى مقام رسالته وارشاده للخلق ودعوته اياهم الى الحق الذي ارسله اليهم هو ان يكون الاظهر فيه حكما وسلطنة من صفات الحق واسمائه صفة الهداية والاسم الهادي كما اخبر الحق عن ذلك بقوله « وانك لتهدي الى صراط مستقيم » فهو عليه السلام صورة الاسم الهادي ومظهر صفة الهداية والشيطان مظهر الاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة فهما ضدان وروينا في بعض الاحاديث ما يؤيد هذا المعنى وهو حديث طويل فيه « ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل الاجتماع بابليس ليرى ما عنده واحضر بين يديه وحفت الملائكة بالنبي صلى الله عليه وسلم تحرسه لئلا يقصده ابليس بسوء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابليس : قل ما عندك . فقال : يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك من الهداية من شيء ، وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية من شي . فأوحى الله تعلى الى النبي عليه السلام إصدقك وانه لكذوب إ فثبت بهذا ايضا ان الشيطان في الحقيقة ضد للنبي صلى الله عليه وسلم والضدان لا يجتمعان ولا يظهر احدهما بصورة الآخر وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم خلقه الله للهداية كما مر فلو سـاغ ظهور ابليس بصورته زال الاعتماد بكل ما يدبه الحق ويظهره لمن شاء هدايته به فلهذه الحكمة عظم الله صورة النبي صلى الله عليه وسلم من ان يظهر بها الشيطان - فان قيل - عظمة الحق سبحانه اتم من عظمة كل عظيم فكيف اعتاص على ابليس ان يظهر بصورة النبي صلى الله عليه وسلم مع ان اللعين قد ترا آى لكثيرين وخاطبهم بأنه الحق طلبا لاضلالهم وقد اضل جماعة بمثل هذا حتى ظنوا انهم رأوا الحق وسمعوا خطابه . فأقول : الفرق بين الامرين من وجهين - احدهما - ان كل عاقل يعلم ان الحق ليس له صورة معينة توجب الاشتباه بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فانه ذو صورة معينة معلومة مشهورة . و - الوجه

الآخر - ان من مقتضى حكم سعه الحق انه | يضل من يشاء ويهدي من يشاء | كما ورد التنبيه عليه في الحديث المتضمن محاورة ابليس مع النبي صلى الله عليه وسلم وتصديق الحق اياه خصوصا وان اعلمه انه كذوب . واما النبي صلى الله عليه وسلم فقيد بصفة الهداية وظاهر بصورتها فوجب عصمة صورته من ان يظهر بها الشيطان لبقاء الاعتماد وظهور حكم الهداية فيمن شاء الله هدايته به عليه السلام ولولا ذلك لم يظهر سر قوله « وانك لتهدي الى صراط مستقيم » ولم تحصل فائدة البعثة فافهم . غير ان هاهنا ميزانا ودليلا يجب التنبيه عليهما وهو ان الرؤية الصحيحة للنبي صلى الله عليه وسلم هو ان يراه الرائي بصورة شبيهة بصورته الثابتة حليتها بالنقل الصحيح والى ذلك الاشارة في بعض روايات الحديث « من رآني في المنام فقد رآني » حتى ان رآه احد في صورة مخالفة لصورته التي كان عليها في الحس لم يكن رآه عليه السلام مثل ان يراه طويلا او قصيرا جدا او يراه اشقر او شيخا او شديد السمرة ونحو ذلك وحصول الجزم في نفس الرائي انه رآى النبي صلى الله عليه وسلم ليس بحجة بل ذلك المرئي هو صورة الشرع بالنسبة الى اعتقاد الرائي او حاله او بالنسبة الى صفة او حكم من احكام الاسلام او بالنسبة الى الموضع الذي رآى فيه ذلك الرائي تلك الصورة التي ظن انها صورة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جربنا ذلك كثيرا في انفسنا وفي غيرنا وسمعنا من شيوخنا ما يؤيد ذلك مرارا شتى . ثم ذكر حكايات سمعها من شيوخه وما وقع له هو في خاصة نفسه ومع غيره ثم قال : فكما جربنا هذا النوع المذكور كذلك جربنا انه من رآى النبي صلى الله عليه وسلم في صورته الاصلية واخبره بما اخبره فان ذلك الاخبار لم يخرم ولم يتغير بل وجدناه نصا جليا وروينا عنه ايضا والحمد لله » اه . وللنبي صلى الله عليه القدرة على التشكل في اي صورة شاء بحسب الرائي في يقظة او منام والظهور لمن شاء فيما شاء كأن يظهر للولد البار بوالديه في صورة ابيه مثلا والمريد الصادق في

صورة شيخه . قال العارف بالله الجيلي في الانسان الكامل « قال الشبلي رضي الله عنه لتلميذه : اشهد اني رسول الله . وكان التلميذ صاحب كشف فقال : اشهد انك رسول الله . وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم له القدرة على التشكل في اي صورة فظهر للتلميذ في صورة الشبلي وهذا غير منكور عند العارفين » اهـ . ثم ان العلماء العارفين رضي الله عنهم من شدة شوقهم لرؤيته صلى الله عليه وسلم واعتنائهم بها وحرصهم على نفع الامة ذكروا للمريدين من موجبات ذلك منلما لموردا لخاصية اودعها الله في ذلك قد اطلعوا عليها اما بوارد الالهام واما بأخذ ذلك منه صلى الله عليه وسلم لحكمة اقتضتها القدرة الالاهية منها : ما تقدم من قول سيدنا رضي الله عنه « من داوم على قراءة جوهرة الكمال سبعا عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي صلى الله عليه وسلم » . ومنها : ما ذكره غير واحد من شارحي بردة المادح عند قوله :

نعم سرى طيف من اهوى فأرقني * والحب يعترض اللذات بالالم

من ان فائدة هذا البيت ان من كرره بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في منامه . ومنها : ما اخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن عكاشة عن الزهري رضي الله عنه « من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين يقرأ فيهما قل هو الله احد الف مرة رآى النبي صلى الله عليه وسلم » . ومنها : ما في حدائق الاخبار والخصائص للامام السيوطي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد خمس عشرة مرة فاذا سلم من صلاته صلى علي الف مرة فانه يراني في ليلته ولا تتم الجمعة الاخرى حتى يراني » . ومنها : ما ذكره الامام الساحلي في نزهة الناظر عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من صلى هذه الصلاة علي سبعين مرة رآني في منامه ومن رآني في منامه

رآني يوم القيامة ومن رآني يوم القيامة شفعت له ومن شفعت له شرب من حوضي وحرم الله جسده على النار وهي اللهم صل على روح محمد في الارواح اللهم صل على جسد محمد في الاجساد اللهم صل على قبر محمد في القبور». ومنها: ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «من اراد ان يراني في منامه فلينم على طهارة مستقبل القبلة واضعا رأسه على يده اليمنى قائلا اللهم اني اسألك بجلال وجهك الكريم ان تريني وجه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في منامي هذا رؤية حق تقر بها عيني وتفرج بها كربي وتشرح بها صدري وتلم بها شملي وتجمع بيني وبين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في الدرجات العلى ولا تفرق بيني وبينه برحمتك يا أرحم الراحمين». ومنها: ما في طبقات العارف بالله الشعراني عن سيدي ابي المواهب الشاذلي انه قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي قل عند النوم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسا وبسم الله الرحمن الرحيم خمسا ثم قل اللهم بحق محمد ارني وجه محمد صلى الله عليه وسلم حالا ومثالا فانك اذا قلت ذلك تراني في المنام ولا اتخلف عنك». ومنها: ما في المجربات «ان من اراد ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فليصل ركعتين يقرأ في كل ركعة منهما فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد مائة مرة فاذا فرغ من صلاته قال ثلاث مرات يا محسن يا مجمل يا منعم يا متفضل ارني وجه نبيك صلى الله عليه وسلم فانه يراه ان شاء الله». ومنها: ما فيها ايضا «من اراد ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليغتسل قبل النوم ثم يصلي ركعتين وبعد سلامه منهما يقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لك الحمد على عظمتك وعلى ملكك ومنتهى الرحمة من زكواتك اللهم لك الحمد كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك اللهم لك الحمد على دوام احسانك وحسن عادتك اللهم اني اسألك بالقرآن العظيم ونور وجهك الكريم الذي اشرقت به السماوات والارضين واسألك باسمك الذي تنزل به المطر والرحمة على من

من عبادك اللهم انت الاهنا وانت على كل شيء قدير اسألك اللهم بحق ما
يؤنك به ان ترني في منامي هذا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
آله وصحبه عدد خلقك ورضاء نفسك وزينة عرشك ومداد كلماتك » اه. وقال
كاش سيدي ابراهيم الرياحي رحمه الله ما نصه : « كان سيدنا الشيخ مولانا
احمد التجاني رضي الله عنه في ابتداء امره مواظبا على هذا الدعاء كل ليلة جمعة
بعد النوم وهو : اللهم لك الحمد على قدر عظمتك ومبلغ علمك ومنتهى رضاك
لك الحمد كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك اللهم لك الحمد على قدر
نعمك وجزيل عطائك اللهم لك الحمد على مداومة احسانك وحسن عبادتك
اسألك بالقرآن العظيم وبنور وجهك الكريم الذي اشرقت به سماؤك وارضك
واسألك باسمك الذي تنزل به المطر والرحمة على من تشاء من عبادك يا الله
يا الله يا الله انك على كل شيء قدير اللهم اني اسألك ان ترزقني رؤية وجه نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم على حالته التي كان عليها في دار الدنيا انك على كل شيء
قدير يا أرحم الراحمين يا رب العالمين ومما يستعمل كل ليلة خمسين خمس مرات
يورث رؤيته صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا
محمد صلاة يعطف بها قلبه على قلبي ويمد سره بها سري فيزول عيبي وتتظر
روحي روحه حتى نشاهده في جميع اجزاء ذاته اللهم احيه لي واحيني له
وارفع الحجاب بيني وبينه حتى اراه كيف شاء الله ان شاء الله » اه . الى غير ذلك
مما يطول ذكره واسأله سبحانه وتعالى ان يمن علينا برؤياه وان يجمع شملنا
بلقياه انه كريم ذو فضل عظيم .

﴿ المطلب الخامس ﴾

في لزوم محبة الاولياء والتحذير من الوقوع فيما يؤدي الى تنقيص واحد منهم او بغضه

اعلم وفقني الله واياك لما يحبه ويرضاه ان محبة اهل الله رضي الله عنهم
فلاح والتصديق بما لديهم ولاية وصلاح . والمحروم من في الانكار عليهم وقع .

والمطرود عن رحمة الله حقيقة من فيهم لسان الثلب سر او رفع ، لان ذلك يؤدي الى بغضهم وعداوتهم والله تبارك وتعلى اتخذهم اولياء ومن اتخذه الله وليا تولى امره كما قال عز من قائل « وهو يتولى الصالحين » ومن تولى الله امره كفاه شر اعدائه خرج الامام البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله تعلى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » . قال اهل الحديث اي اعلمته بأني محارب له عنه ومن حاربه الله تعلى اهلكه ومن اهلكه الله تعلى فلا ناصر له كما قال سبحانه وتعلى « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده » . قال الامام ابن عطاء الله في لطائف المنن في حديث « من عادى لي وليا » الخ « فاصغ رحمك الله الى ما تضمنه هذا الحديث من عزازة قدر المولي وفخامة رتبته حتى ينزله الحق سبحانه هذه المنزلة ويحله هذه الرتبة فقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعلى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب لان الولي خرج عن تدبيره الى تدبير الله وعن انتصاره لنفسه الى انتصار الله له وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله عز وجل فقد قال سبحانه وتعلى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وقال عز وجل « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وانما كان ذلك لهم لانهم جعلوا الله تعلى مكان همومهم فدفع عنهم الاغيار وقام لهم بوجود الانتصار » الخ كلامه . ويرحم الله العارف بالله سيدي ابراهيم الرياحي حيث يقول في ميميته :

لا تجادل في الاولياء وسلم * قبل توتير اي ذي قوس رام

بشر الخائضين فيهم بحرب * من قوي في بطشه ذي انتقام

وقال بعض المفسرين في قوله تعلى « ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » الآية . معناه ان الذين يوذون اولياء الله لعنهم الله ولا شك ان الانكار عليهم والاعتراض عليهم اذاية لهم اه . وفي البحر المورود « اخذ علينا العهد ان لا نجيب عن ايمة الدين من العلماء والصوفية جهدنا ولا

تصغى ابدا لقول من طعن فيهم لعلمنا انه ما طعن فيهم الا وهو قاصر عن معرفة مداركهم ثم ان الراد عليهم لا بد ان يطفي الله نوره » الخ كلامه . وفي اليواقيت والجواهر كان الامام ابن اسعد اليافعي يقول « ان حكم انكار هؤلاء الجهلة على اهل الطريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ان تزيله عن مكانه بنفختها ومن عادى اولياء الله تعلى فكانما عادى انبياء الله وان كان لم يبلغ حد النكير الموجب للخلود في النار » اه . ونقل في الطبقات عن بعض رجالها رضي الله عنهم انه كان يقول « من وقع في اولياء الله تعلى ابتلاه الله بانعقاد لسانه عن النطق بالشهادتين » . وفي اليواقيت والجواهر كان ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه يقول « من غض وليا لله تعلى ضرب في قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى يفسد معتقده ويخاف عليه من سوء الخاتمة » اه . وللعارف بالله سيدي محمد البكري الصديقي قدس سره :

بين اهل القلوب والحق حال * هو سر يدق عنه المقال

ما لشخص الى علاهم طريق * لا ولا في ميدانهم من مجال

احذر احذر اهل القلوب وسلم * امرهم انهم فحول رجال

لا يكن منك ذرة بنكير * فسيوف الاقوال منها صقال

وشهاب تشب نار انتقام * ليس يطفى لوقدهن اشتعال

مرهفات بتر تقد وتفري * سلها فتية الورى الابطال الخ

وقال سيدنا رضي الله عنه وارضاه وعنا به كما في رسالة التحدث بالنعم بعد ان ذكر فيها بعض ما انعم الله به عليه من الخصوصيات وبعض فضائل اصحابه ما نصه « ومع هذا كله فلسنا نستهزيء بحرمة ساداتنا الاولياء رضي الله عنهم ولا نتهاون بتعظيمهم فعظموا حرمة الاولياء الاحياء والاموات فان من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن اهانهم اذله الله وغضب عليه فلا تستهينوا بحرمة الاولياء » الخ كلامه رضي الله عنه وفي هذا القدر كفاية والله الموفق . ولما كان

مبنى هذه الطريقة التجانية، ذات الاسرار الربانية، المداومة على الذكر اللازم لها بشروطه وكان هذا الذكر منقسما على ثلاثة اقسام اشار المصنف الى ذلك على سبيل الاجمال بقوله (وهو) اي الذكر اللازم (ورد) قال الجوهري « الورد بالكسر الجزء يقال قرأت وردي » اه . وهو عندنا في الطريقة اسم مقول على اركان ثلاثة بترتيب مخصوص وعدد محصور مع شروط وربما اطلق على ما بعده تغليبا وسياتي الكلام عليه ان شاء الله تعلى قريبا (ووظيفة) هي الوجبة قال ابو البقاء في الكليات « هي ما يعوده الانسان على نفسه كاللازم الثابت » اه وفي الطريقة اسم مقول على اركان اربعة معلومة بشروط وسياتي الكلام عليها ان شاء الله تعلى (وذكر جمعة) هو اسم مقول على ذكر بكيفية مخصوصة ووقت معين وسياتي الكلام عليه ان شاء الله تعلى ثم اشار الى تفصيل ما اجمله على طريق اللف والنشر المرتب بقوله (واركان الاول) يعني الورد ثلاثة : الركن الاول (استغفر الله) ثم : الركن الثاني (صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) أي صيغة كانت من صيغ الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم مثل اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم (وكونها الفاتح) الفاتح بفتح الحاء خبر كون من جهة النقص وهو على حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وكون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم صلاة الفاتح لما اغلق الخ ويصح كونه بكسر الحاء على الحكاية (افضل) خبر كون من جهة الابتداء وانما كانت صلاة الفاتح لما اغلق كذلك لاجل عظيم فضلها والعجب ممن يرى الفضل وعنه يرغب وسياتي الكلام على بعضه ان شاء تعلى ويقربها في الافضلية روح الصلوات وهي « اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما - ثم - اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله » فانت مخير في ذلك وباجتهاد الملقن الذي يلقن الورد فله النظر ان كان من ياخذ الورد من اهل الدين والصلاح وفيه اهلية ونسبة فليلقنه الفاتح لما اغلق وبإذنه

في مرتبتها الظاهرة فقط والا فليلقنه روح الصلوات ان كان متوسطا والا الصلاة الاخرى المذكورة وكيفما فعل اجزاه بأي صيغة من صيغ الصلوات اه جواهر المعاني . (ثم) : الركن الثالث هو (هيللة) اي قول لا اله الا الله خاصة بلا زيادة شيء معها الا في الاخيرة كما سيأتي التنبيه على ذلك ان شاء الله تعالى (كل) ركن من هذه الاركان الثلاثة يذكر منه عددا محصورا في (مائة) فجملة المئين حينئذ ثلاثة بالترتيب المذكور والسر في هذا الترتيب كما قال الولي الصالح سيدي العربي بن السايح هو مناسبة حال السالك وذلك لان تقديم الاستغفار تطهير الباطن من ادران المعاصي وسائر المخالفات ليتهيأ للتحلية بما ينتجه له غير الاستغفار وهو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم استنارة الباطن وكنس بقايا الادران ومحو ظلمها ليتهيأ لحمل ما يرد عليه من الحقائق التوحيدية وانوار المعارف المفاضة عليه من الحضرة الفردية وبالجملة فتقديم الاستغفار ثم اردافه بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لاحكام غسل الباطن وتنويره ليتهيأ للتحلي بحلل الانوار القدسية المفاضة عليه حال الذكر للكلمة المعظمة السنية » اه . ثم ان الكلام على هذه الاركان الثلاثة ينحصر في ثلاثة مقاصد :

﴿ المقصد الاول ﴾

في الاستغفار وبعض فضله

اعلم انه ينبغي لكل عاقل حاذق ، وكل مؤمن صادق . الاشتغال بالاستغفار آناء الليل واطراف فان الانسان ليس بمعصوم ، والمتكل على طاعته هو المحروم .

وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه « عليك بالاستغفار وان لم يكن هناك ذنب واعتبر استغفار النبي صلى الله عليه وسلم بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو من العيب والذنب في وقت من الاوقات » اه . وقد جاء

في فضل الاستغفار آيات قرآنية واحاديث نبوية روى الامام الترمذي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انزل الله تعلى علي امانين لامتي : وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار » . وروى ابو داوود والطبراني وابو يعلى وابن مردويه عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتاني آت من ربي فقال [من يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما] وقد كانت شقت عليهم الآية التي قبلها [من يعمل سوءا يجز به] فاردت ان ابشر اصحابي » قال قلت يا رسول الله وان زنى وان سرق ثم استغفر غفر له . قال « نعم » قال قلت يا رسول الله وان زنى وان سرق ثم استغفر غفر له . قال « نعم » ثم ثلثت . قال « نعم على رغم انف عويمر » . قال كعب بن ذهل « وانا رأيت ابي الدرداء يضرب انف نفسه » وروى ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعلى « ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله » قال : اخبر الله تعلى عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن اذنب ذنبا صغيرا كان او كبيرا ثم يستغفر الله « يجد الله غفورا رحيما » ولو كانت ذنوبه اعظم من السماوات والارض والجبال . وروى الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم » . وروى الامام ابن حنبل رضي الله عنه والحاكم وصححه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال ابليس وعزتك لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الله وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني » وروى الطبراني عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذنبت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « اذا اذنبت فاستغفر ربك » قال فاني استغفر ربي ثم

اعود فاذنب . قال « فاذا اذنبت فاستغفر ربك » فقال في الرابعة استغفر ربك عز وجل حتى يكون الشيطان هو المخسي » . وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكيه عن ربه عز وجل « اذا اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفرلي ذنوبي فقال تبارك وتعلى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال رب اغفرلي ذنبي فقال تبارك وتعلى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال رب اغفرلي ذنبي فقال تبارك وتعلى اذنب عبدي فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب قد غفرت له فليفعل ما يشاء - وفي رواية - اعمل ما شئت قد غفرت لك » . وفي كشف الغمة « كان صلى الله عليه وسلم يقول « ما من مسلم يعمل ذنبا الا وقف الملك ثلاث ساعات فان استغفر من ذنوبه لم يوقفه عليه ولم يعذبه يوم القيامة » وكان صلى الله عليه وسلم يقول « ان للقلوب صدى كصدى الحديد وجلاؤه الاستغفار » اه . وروى ابو منصور الديلمي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان لكل صدى جلاء وجلاء القلوب الاستغفار » وفي ترغيب الطالب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اكثروا من الاستغفار فان الاستغفار يأكل الذنوب كما تاكل النار الحطب وكما تاكل الشاة الخضرة وان صحيفة المرء اذا عرج بها الى السماء ولم يكن فيها استغفار لم يكن لها نور واذا طلعت وفيها الاستغفار كان لها نور يتلالا وان يكن فيها الاستغفار يسير وما جلس قوم بمجلس لهو ثم ختموه بالاستغفار الا كتب لهم مجلسهم ذلك استغفار كله » . وروى النسفي عنه صلى الله عليه وسلم « ما من مؤمن الا وله كل يوم صحيفة فاذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة واذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلالا » وروى البيهقي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا ادلكم عن دائكم ودوائكم الا ان دائكم ذنوبكم ودوائكم

الاستغفار » وروى ابن ماجه عن عبد الله ابن بشار رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا» وروى الترمذي وحسنه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعلى يابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم اتيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة » الى غير ذلك مما هو مشهور والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

﴿ المقصد الثاني ﴾

في بعض فضل الياقوتة الفريدة

اعلم ان هذه الصلاة العظمى ، ذات السر الاسمى ، والحقائق الجامعة ، والانوار اللامعة ، قد برزت من الحضرة القدسية ، مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة نورية ، للعارف بالله الاكبر ، القطب الاشهر ، سيدي محمد البكري رضي الله عنه لما توجه الى الله تعلى مدة يسأله ان يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها سر جميع الصلوات فحقق الله رجاءه بها . وهذا البروز من الحضرة الالاهية معمول به عند المحققين وقد عدوه من اقسام الالهام للاولياء رضي الله عنهم وقد كان يقع للفحول منهم العارف بالله ابو عبد الله قضيب البان وغيره من امثاله كان كثيرا ما يجد ورقة مكتوبة بقلم القدرة . قال العارف بالله الشعراني في اليواقيت والجواهر « فان قلت فما علامة كون الكتابة التي في الورقة من عند الله تعلى حتى يجوز للولي عمل ما فيها - فالجواب - ان علامتها كما قال الشيخ محي الدين في الباب 315 من فتوحاته المكية ان الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال : قال الشيخ محي الدين وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار

على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا انها ليست من كتابة المخلوقين » اه . هذا
وينبغي لكل مؤمن رشيد ، وكل موفق سعيد ، قد اراد الربح بتجارة السعادة
والفوز في الدارين بأشرف ما اراده العكوف على هذه الصلاة الجالبة لكل الصلات
لما احتوت عليه من اللطائف العاليات ، وحسن الطرائق الباهرات ، فان حصر فضلها
محال ، وتكييف بعضه للعقول القاصرة خبال ، قال سيدنا رضي الله عنه وارضاه
وعنا به لو اجتمع اهل السماوات السبع وما فيهن والارضين السبع وما فيهن
على ان يصفوا ثواب الفاتح لما اغلق ما قدروا » اه . لكن ما لا يمكن كله لا يترك
بعضه او جله تحريضا على اغتنام الفضائل فأقول والله الموفق . قال سيدنا رضي
الله عنه كما في جواهر المعاني « كنت مشتغلا بذكر صلاة الفاتح لما اغلق حين
رجعت من الحج الى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو ان المرة الواحدة بستمائة
الف صلاة كما هو في وردة الجيوب وقد ذكر صاحب الوردة ان صاحبها سيدي
محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطبا رضي الله عنه قال ان من ذكرها
مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله وبقيت نذكرها الى ان رحلت
من تلمسان الى ابي سمغون فلما رأيت التي فيها المرة الواحدة بسبعين الف ختمة من
دلائل الخيرات تركت الفاتح لما اغلق الخ واشتغلت بها وهي : اللهم صل على
سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات اهل محبتك وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله سلاما يعدل سلامهم . لما رأيت فيها من كثرة الفضل ثم امرني صلى الله
عليه وسلم بالرجوع الى صلاة الفاتح لما اغلق فلما امرني بالرجوع اليها سألته
صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني اولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من
القرآن ست مرات ثم اخبرني ثانيا ان المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح
وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير او صغير ومن القرآن ستة
آلاف مرة لانه من الاذكار » اه . وان اردت ان تطلع على بعض حقيقة ذلك

ليتضح لك الامر لئلا تقع في عوطب (١) إمر - فاعلم - كما قال سيدنا رضي الله عنه كما كتبه رضي الله عنه جوابا لخليفته سيدنا علي حرازم برادة قدس سره ونصه كما في جواهر المعاني « وخاصية الفاتح لما اغلق الخ امر الاهي لا مدخل فيه للعقول فلو قدرت مائة الف امة في كل امة مائة الف قبيلة في كل قبيلة مائة الف رجل وعاش كل واحد منهم مائة الف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم الف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من غير صلاة الفاتح لما اغلق وجمع ثواب هذه الامم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الاذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما اغلق الخ فلا تلتفت لتكذيب مكذب ولا لقدح قادح فيها فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فان لله سبحانه وتعلى فضلا خارجا عن دائرة القياس ويكفيك قوله سبحانه وتعلى « ويخلق ما لا تعلمون » فما توجه متوجه الى الله تعلى بعمل يبلغها وان كان ما كان ولا توجه متوجه الى الله بعمل احب اليه منها ولا اعظم عند الله منها الا مرتبة واحدة وهي من توجه الى الله باسمه العظيم الاعظم لا غير هو غاية التوجهات والدرجة العليا من جميع التعبدات ليس لفضله غاية ولا فوقه نهاية وهذه الصلاة تليه في المرتبة والتوجه والثواب والفوز بمحبة الله لصاحبها وحسن المآب فمن توجه الى الله مصدقا بهذا الحال فاز برضى الله وثوابه في دنياه واخراه بما لا تبلغه جميع الاعمال يشهد بهذا الفيض الالاهي الذي لا تبلغه الآمال ولا يحصل هذا الفضل المذكور الا مع التسليم ومن اراد المناقشة في هذا الباب وهذا المحل فليترك فانه لا يفيد استقصاء حجج المقال واترك عنك محاججة من يطلب منك الحجج فان الخوض في ذلك ردا وجوابا كالبحر لا تنقطع منه الامواج والقلوب في يد الله هو المتصرف فيها والمقبل بها والمدبر بها فمن اراد الله سعادته والفوز بثواب هذه الياقوتة الفريدة جذب قلبه الى التصديق بما سمعه فيها وعرفه

---

(١) العوطب : الداهية . والامر : بكسر الهمزة العظيم

والتسليم لفضل الله سبحانه بأنه لا يأخذه الحد والقياس فصرف همته في التوجه الى الله تعلى بها والاقبال على الله بشأنها فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ومن اراد الله حرمانه من خيرهـا صرف قلبه بالوسوسة وبقوله من اين يأتي خبرها فاشتغل بما قلناه لك ومن اطاعك في ذلك واعرض عن مناقشتك في البحث بتحقيق ذلك. فانا اخذناه من الوجه الذي تعلمه وكفى » اه . وقال ايضا رضي الله عنه « واما صلاة الفاتح لما اغلق الخ فاني سألته صلى الله عليه وسلم عنها فأخبرني اولا انها بستمائة الف صلاة فقلت له هل في جميع تلك الصلوات اجر من صلى بصلاة مفردة فقال صلى الله عليه و سلم ما معناه : نعم يحصل في كل مرة منها اجر من صلى بستمائة الف صلاة مفردة . وسألته صلى الله عليه وسلم هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث لكل صلاة وهو الطائر الذي لها سبعون الف جناح الى آخر الحديث ام يقوم منها في كل مرة ستمائة الف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم « بل يقوم منها في كل مرة ستمائة الف طائر على تلك الصفة في كل مرة » ثم قال رضي الله عنه فسألته صلى الله عليه وسلم عن حديث ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مرة تعدل ثواب اربعمائة غزوة كل غزوة تعدل اربعمائة حجة هل صحيح ام لا فقال صلى الله عليه وسلم « بل صحيح » فسألته صلى الله عليه وسلم عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما اغلق الخ مرة اربعمائة غزوة ام يقوم اربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة الف صلاة وكل صلاة على انفرادها اربعمائة غزوة فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه « ان صلاة الفاتح لما اغلق بستمائة الف صلاة وكل صلاة من الستمائة الف صلاة باربعمائة غزوة » ثم قال بعده صلى الله عليه وسلم « ان من صلى بها - اي بالفاتح لما اغلق الخ - مرة واحدة حصل له ثواب ما اذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وانس وملك ستمائة الف صلاة من اول العالم الى وقت تلفظ الذاكر

بها اي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة الف صلاة من جميع صلاة المصلين عموما ملكا وجنا وانسا وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات وان الله يصلي عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات » قال الشيخ رضي الله عنه فاذا تأملت هذا بقلبك علمت ان هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة فكيف من صلى بها مرات ماذا له من الفضل عند الله وهذا حاصل في كل مرة منها . ثم قال الشيخ رضي الله عنه واخبرني صلى الله عليه وسلم انها لم تكن من تأليف البكري اي صلاة الفاتح لما اغلق الخ ولكنه توجه الى الله مدة طويلة ان يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم اجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور . ثم قال الشيخ رضي الله عنه فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والانس والملائكة . قال رضي الله عنه وقد كان اخبرني صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الاعظم فقلت انها اكثر منه فقال صلى الله عليه وسلم « بل هو اعظم منها ولا تقوم له عبادة » قال رضي الله عنه في المرة الواحدة من الاسم الاعظم بستة آلاف مرة من صلاة الفاتح لما اغلق الخ والمرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل تسبيح ومن كل استغفار ومن كل دعاء في الكون صغير او كبير ستة آلاف مرة كما سبق فقال الشيخ رضي الله عنه يكتب لذاكر الفاتح لما اغلق مرة ستة آلاف من ذكر كل حيوان وجماد . وذكر الجمادات هو ذكرها للاسم القائم بها لان كل ذرة في الكون لها اسم ما قائمة به واما الحيوانات فأذكارها مختلفة وهذا ما اخبر به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سيدنا رضي الله عنه من فضل صلاة الفاتح لما اغلق الخ اه وقال ايضا رضي الله عنه عدد السنة الطائر الذي يخلقه الله من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الذي له سبعون الف جناح الى آخر الحديث الف الف الف الف الف الف الى ان تعد ثمانية مراتب وستة

وثمانون الف الف الف الف الف الف الى ان تعد سبع مراتب وسبعمائة الف الف الف الف الى الا تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد السنته وكل لسان يسبح الله تعلى بسبعين الف لغة في كل لحظة وكل ثوابها للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرة هذا في غير الياقوتة الفريدة وهي الفاتح لما اغلق الخ واما فيها فانه يخلق في كل مرة ستمائة الف طائر على الصفة المذكورة كما تقدم فسبحان المتفضل على من يشاء من عباده من غير منة ولا علة اه واعلم ان لهذه الصلاة الشريفة ثلاث مراتب ظاهرة وباطنة وباطن الباطنة فالثانية والثالثة لا يحل كشفهما على تقدير ان علمهما احد لان ذلك مما لا تقبله العقول الراجحة فضلا عن غيرها وقد نهينا ان نحدث الناس بما لا يفهمون فلا يحل افشاء ذلك لئلا يفتن الناس به والقضية في ذلك كما قيل :

يا رب جوهر علم لو ابوح به * لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون اقبح ما ياتونه حسنا

واما المرتبة الظاهرة فقد تقدم بعض الكلام عليها ومما يتعلق بها ايضا ما قال سيدنا رضي الله عنه « اما المرتبة الظاهرة في الفاتح لما اغلق الخ مهما قرأها احد بشرطها كتب الله له فيها ان يوخذ جميع تلك الاذكار من تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد واستغفار وصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقراءة القرآن وغيره من الكتب الالاهية كلها مثل التوراة والانجيل مثلا من اول منشأ العالم الى بروز تلك الصلاة من الذاكر وتجمع تلك الجمعية المذكورة وتضاعف ستة آلاف مرة ثم تحسب السنة جميع المخلوقات من كل ما سوى الله تعلى وتضاعف فيها تلك الجمعية بعد مضاعفتها ستة آلاف مرة تتضاعف ايضا على عدد السنة جميع العوالم من كل ما سوى الله تعلى ثم تتضاعف مضاعفة ثالثة على قدر مرتبة كل لسان فان من الالسنة من ليس من ذكره الا مرة واحدة من كل لفظ وفيهم من له التضاعف مائة مرة في كل كلمة من كل ذكر وفيهم من له عشرة آلاف وفيهم من له الف

الف الى عشرة آلاف الف الى مائة الف الف الى الف الف الف الى ما وراء ذلك مما يكثر ذكره ثم تحسب كل لفظة على حدتها بعد التضاعف المذكور ويجري القانون في ثوابها على قدر ما ذكر في رسم الشروع من كون كل صلاة عليه صلى الله عليه وسلم خواصها في الشروع وكل صلاة بجوراء وقصر في الجنة ورفع عشر درجات ومحو عشر سيئات والطائر الذي يقوم منها على صورة ما ذكر في الحديث يسبح الله تعلى الى يوم القيامة وثوابه للمصلي وعشر صلوات من الله تعلى من جميع الملائكة وهذه الصلوات من الله تعلى في غير التي تأتي في المرتبة الباطنة فان تلك بست هذه وفي كل صلاة ايضا يخلق منها ملك ينغمس في بحر الحياة ثم يخرج فينتفض فيخلق الله تعلى من كل قطرة تقطر منه ملكا يستغفر للمصلي الى يوم القيامة ثم في كل صلاة ثواب اربعمائة غزوة وثواب اربعمائة حجة مقبولة . واما كل تسبيحة وتحميدة وتهليلة فكلها فيها ثواب القرآن . واما ثواب القرآن في هذا فهو غير ما عند اهل الظاهر فثواب القرآن في هذا انه لو اجتمعت الاذكار كلها من كل روح في العالم فردا فردا من اي ذكر كان وجميع اسماء الله تعلى الظاهرة والباطنة وجميع الحسنات من جميع الموجودات في العالم فردا فردا وجميع العبادات في العالم من جميع الارواح في جميع العالم فردا فردا وجمعت هذا الثواب الذي ذكرنا كله لم يعادل ثواب حرف من القرآن وهذا في غير الفاتحة . واما الفاتحة فثوابها ثواب ختمة من القرآن كاملة في كل مرة وفيها ايضا في كل مرة منها من الحور والقصور الف الف حوراء يعني الف الف ثم الف الف اخرى ثم ستمائة الف وسبعة آلاف وكر هذا العدد فيها كله كامل من الحور والابكار ومثله من القصور وفيها ثواب قيام ليلة القدر كاملا وفيها ايضا اكثر ما سبح به ربنا في جميع كورة العالم من جميع الاذكار كلها وجميع القرآن من كل تال ومن كل روح من كل ما سوى الله تعلى وهذا كله في الفاتحة من كل قارىء والاذكار المحسوبة في كورة العالم من كل روح من اول منشأ العالم الى وقت بروز صلاة الفاتح لما اغلق من ذاكرها وهذا

التي ذكر في الفاتحة بعد مضاعفتها بالمضاعفات الثلاث التي تقدمت وكل سلكة من القرآن ايضا من كل قاري من منشأ العالم الى وقت بروز الصلاة بالفاتح لما اغلق من ذاكرها تتضاعف ايضا تلك السلكة من القرآن من كل تال على قدر المضاعفات الثلاث المتقدمة ويكون حكم ثواب تلك السلكة على قدر ما ذكرناه آنفا في ثواب القرآن عند اهل الظاهر وخذ بجميع الاذكار هذا القياس وهذا المهيع واعمل به في المضاعفات الثلاث المتقدمة ولا تستثني من هذه الجمعية التي في الفاتح لما اغلق من جميع ما ذكر في الفاتحة والقرآن وجميع الاذكار الا الاسم الاعظم واذكاره صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لهذين في صلاة الفاتح لما اغلق لعلوها عنها لكن بحسب لسانه صلى الله عليه وسلم مع السنة الاكوان في المضاعفات فان له صلى الله عليه وسلم مائة الف لسان واربعة وعشرين الف لسان من السنته صلى الله عليه وسلم اذا جمعت له آية واحدة من القرآن ونسخة واحدة من اي ذكر لم يعادلهما ذكر جميع العالم من كل ذكر وتلاوة الفاتحة والقرآن من اول منشأ العالم الى النفخ في الصور من كل ما ذكروه ومن كل ما قرءوه قرآنا وفاتحة ومن كل ما عبدوه من اول العالم وجودا الى النفخ في الصور لم يعادلوا تسبيحة واحدة من تسبيحاته او آية من تلاوته فضلا عن الفاتحة ثم من بعده صلى الله عليه وسلم كل لسان على قدر مبلغ ثوابه فما عسى ان يكون الامر اذا حسبت الجمعية التي ذكرناها قبل كلها الى لسان واحد من السنته صلى الله عليه وسلم وما عسى ان يكون ثوابه ذلك فكيف اذا اضيفت الجمعية العظمى الى كل لسان من السنته صلى الله عليه وسلم فما عسى ان يبلغ ثوابها وكذلك لسان ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول جبريل لنبينا صلى الله عليه وسلم « لو حدثتك بفضائل عمر في السماء ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وان عمر لحسنة من حسنات ابي بكر » فما عسى ان يكون الامر اذا تلا ابو بكر رضي الله عنه تلك الجمعية كلها بلسانه وكان ثوابه فيها على قدر رتبته واعطى